زينب الخضيري

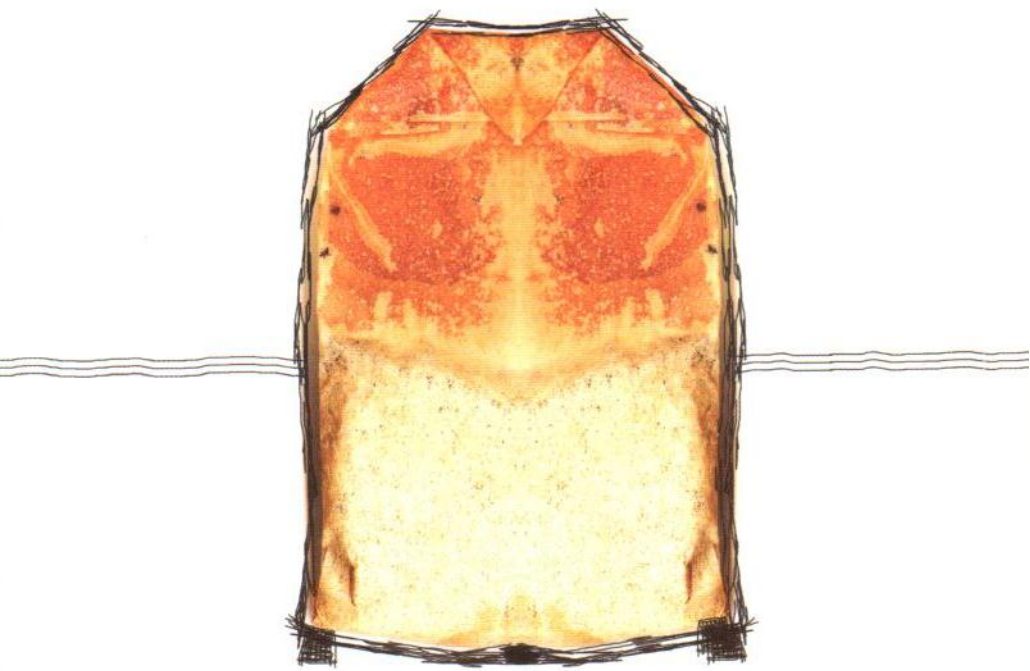

حكاية
بنت اسمها ثرثرة

ZAINAB ALKHUDAIRI
2011

المفردات
AL - MUFRADAT

حكاية بنت اسمها ثرثرة

زينب إبراهيم الخضيري

دار المفردات للنشر والتوزيع، الرياض

ⓒ دار المفردات للنشر والتوزيع، ١٤٣٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الخضيري، زينب إبراهيم

حكاية بنت اسمها ثرثرة. / زينب إبراهيم الخضيري. - الرياض، ١٤٣٢هـ

١١٢ ص؛ ١٤ × ٢١ سم

ردمك: ٢ - ٤٤ - ٨٠٥٨ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١ - المقالات العربية - السعودية أ - العنوان

ديوي ٨١٤.٩٥٣١ ١٤٣٢/٢٢٠٥

رقم الإيداع: ١٤٣٢/٢٢٠٥

ردمك: ٢ - ٤٤ - ٨٠٥٨ - ٦٠٣ - ٩٧٨

ⓒ ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م الطبعة الأولى

دار المفردات للنشر والتوزيع ، الرياض

المملكة العربية السعودية

ص. ب: ٧٠٣/ الرمز البريدي: ١١٤٢١

هاتف: ٤٧٠٨٥٢٩ ، فاكس: ٤٧٠٨٥٤٥

الموقع www. almufradat.com

البريد info@almufradat.com

mufradat@hotmail.com

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

* ننسى أسماء الأشجار اللائى كنَ سماء طفولتنا (حتى لو كانت بضعة أسماء) (سعدي يوسف)

* في أحلام منهوبة يطول الرقاد، فهل تختزل جماهير تنمو مع غياب الأشجار وفي فجوات السنين.(بول شاوول)

* الحب يفعل كل شيء ماعدا إحياء الموتى (إميلي ديكنسون)

* أليس حزينا انطفاء عيوننا ؟ كنا نودّ عيوناً مفتحةً دوماً لرؤية ما نفقده قبل فوات الأوان (لوركا)

* ما تطلب مني؟ على أن أقول لك كلمات طرية، حديثة الولادة ومستمرة إلى الأبد كآثار القدم الأولى على القمر، أي شيء جديد، إذا بين الرجل والمرأة؟ (أولي كومندا سانتغيرات)

* هذا العام الريح مهاجرة العنادل لم تعد تغَنيٌ والنايات مكسورة في حلقك (كلير جول)

إهداء إلى زهرتَيْ الشِتَاء

إِلَى إبراهِيم والجَوَهَرة، إلى من أجبَراني عَلى حُبِ الحَياةِ ثُمَ رَحَلا، فَأرغَماني عَلى الحُزن وَأفلتا وَجَعِي الإنسَانِي، حَلِمتُ أَنني أقْرَأُ مَلامِحَ وَجهيكما الطَيّبين عَلى مَتنِ شَغَفٍ مُستَحيل وَكأَنهُما بُرَاق مُقدَّس يَسرِي بِي إِلَى حَيثُ الأحلامِ التي سَوفَ أحظى بِلقَائِكَما فِيهَا، تعلمان أنني أحتاج إلى وقت لأستوعب دهشة الموت التي نقلتكما إلى عالم آخر غير عالمنا، حكايتكما نشوة تعانق القلب، شَوقي لكَما رَصَاصةٌ فِي الفُؤَادِ تَتَسِعُ دَوَائِرُها، وَالدُمُوع لَم يَعُد لَها سَبيل للعُبُور، لروحَيكُما قبائل من وَرد المغفرة.

زينب

إلى جَوهَرةٍ أفْرَطَتْ فِي صَقلِهَا الحَيَاةُ...!!

لم تسل دموعي عندما رأيت أمي مُسجاة في فراشها، رأيتها ترقد بسلام وقُلت سَلاما سلَاما جَوَهَرة... أفلتَت مني وانسلّت إلى بارئها... من أجلها أنا هكذا.. تلك المرأة التي تحمل قلباً من طُهر وروحا من عقيق، هي ذاتها تلك المرأة التي صَبرت على طعن سيوف الألم وهي من أسرفت في شدّ وثاق الصبر مترعة بالانتظار، لطالما استضافت الوجع ولكن لم تُقِم له وليمة، وكل روح محصّنة تخلق أرواحاً من الأمان.

تهبّ الأمنيات من جهة الواقع فتترمد على صدر الألم، تفرغ اللحظات من حزن اشتريناه بثمن بخس، وفي صيف طويل حطّ بوم الهمّ على شرفة مفتوحة من آه فتهسُ سكاكين الألم كالأفعى الخائفة ملوثة بسُخام المجهول، وكل ألم جديد هو مجرد رهان على خيول المستقبل. أرفض الوقت الذي يمر كالومضة وأرغب بإيقاف الزمن للحداد ولكن الزمن لا يستجيب، هي مشاعرنا نطرحها في سوق المزايدة لتفتح شهية الشوق على مصراعيها لمن نحب، تتبرّج المشاعر فتصبح في حضرة الموت صرخة للحياة مرتدية ثوب المصير بكل تأن، متأملة صاري الرحيل و هو يتوارى إلى ما وراء الحياة، تنتشر حبات التراب على زجاج الروح، لتبذر

الموات على سرير الحياة، فـ التراب لا يَذكُر من يُوارى بداخله، ولكنه يُوفي بوعده باحتضان الرُفات، يتناثر تراب حزين وهو يقضي عمره باحتواء تراب مثله أخذ شكل الإنسان، تنحني فوق أكتاف التراب دموع سخينة، ربيبة الوجع الناعق كغراب صوته يئز في القلوب، فيتورم الأفق بحزن أزرق يخنق المشاعر ويكفنها بالشوق، فتمتد الآهات من شفير الصمت إلى شفير الجزع، لتنحني سنابل الروح متبتلة حاملة قلباً مستهاماً يمضي إلى ما وراء العيون ويكظم الحيرة، تدكُ الأرض عواصف من مشاعر ثائرة متمردة تحيل كل شيء إلى صحراء فارغة تنفث الهشيم وتستجلي الشقاء في جبين التراب... رحلت جوهرتي نجمتي المؤتلقة، نوّارة القلب عطر الورد، تلك الروح المغموسة برائحة القرفة، حبي المزغرد بزهرات الفل، وعلى لسان شكسبير الذي يشبّه الحب وما يوحيه من جمال أبدي بأبي الهول وهو يرنو للخلود بعينيه الزائغتين، أقول هي ذلك التمثال الواقف على أعتاب التاريخ مضمخاً بحب قادم من الزمن الآتي، روح أضناها الحب والحنان، وقلب منهك من السير في لُجّة الحياة مُتعلق بغصن الأحلام والفرح، أحتضن عطر أمومتها المنعش، يا سيدة الطُهر المُعتق بنقاء مُجَلجِلْ، هي جوهرة أو جواهر أو لآليء من حُبْ، مضت مع قافلة ورود الربيع المشبعة حسرة على فراقها، و الفصول الأربعة مجتمعة بكل

جمالها ورزانتها تبكيها..!

لكِ يا جوهرتي...

يا سيدة الكون الفضيّ،

يا صيفية العينين، وقطر الندى،

يا شوق الشوق..سوف يظل فراقك غصة في القلب وحضور طيفك الذهبي يفتح الذاكرة كالرصاص على كل شيء حولي، يا قُبلة الحنان فضائي حافل بأشلاء فقدك، ثمة وجوه بلهاء تقودني للتأمل في معنى تائه من معاني الألم المعلق من طرف مشنقة الحزن ليطوي روحي حد الانكفاء لأعيش حياة بتراء لها ملامح حب لا يزيده الزمن إلا تأجيجاً، لكِ يا أمي جنة تشتهيها روحك الطاهرة المغموسة بالحب. اللهم اغفر لوالدتي.

تبت يد الجهل..!!

تعود أن يُسرج خيل أفكاره في جولات طويلة، يتأمل طبيعة الإنسان الساحرة والمقززة في آن واحد، يترقب خطى تأملاته بنظرة ثلاثية الأبعاد، ذلك الكائن المخيف اللطيف معا، فـ يستيقظ خياله على فكرة مترددة تجيء وتعود على استحياء كفتاة المراعي الخجول، فيُرهِف السمع لها، منصتا باهتمام كتلميذ للتو بدأ صفه الدراسي، لتتبلور فكرته الحائرة عن صديقاتها بسؤال أجرد كصحراء مقفرة إلا من خيوط رمال ذهبية تعمي العين بانعكاسها اللامع، تكورت فكرته بسؤال خالٍ من دسم المجاملات النفسية والبشرية، ما أصعب ما يواجهنا قبل الحلم والأمل والألم..!

جنح خياله للبعيد بعد هذا التساؤل الضاج بشفافية مفتوحة العينين، سؤال عنيد كان يهرب منه ويلاحقه كغوريلا سوداء شرسة، ولكن لابد من المواجهة، أن يقف وجها لوجه أمام هذا السؤال الغوريلا معناه أن يكون شجاعاً كـ "بتروشكا" الذي لا يُقهر ولابد من المغامرة، إن إقصاء عقل المرء وتقييد حريته المسؤولة هو أبشع من القيد الفيزيائي للإنسان، هنا يفقد المرء جوعه إلى الحياة.كالرفاهية التي أفقدتنا التمتع بكل ما حولنا، وكأن ما لدينا من رفاهية هي من المسلمات، وهي استثناء على

طريقة الاستثناء الذي يؤكد القاعدة. إن وضع المرء داخل دائرة تدور به محظور عليه الخروج منها أو المشاركة في دفعها أو إيقافها، يكون كالدولة التي فقدت قرارها السياسي، بسبب خضوعها الدائم لسياسات دولة أقوى منها، فلو طلبنا عدم تقييد عقولنا بخيوط عنكبوت الخوف والخضوع، ومواراتها خلف أوراق توت العجز والتخاذل والجبن الممزوج بكسل الإرادة، وسجنها وراء قضبان العادات والتقاليد، وعدم تحرير نظريات علم الاجتماع وعلم النفس، التي هي أعلى مستويات المعرفة، فمعناه أننا عطّلنا المعرفة، وقيدنا روح العلم والتطلع نحو المستقبل بأمان شاعر، وراحة فنان للتو انتهى من رسم لوحة يدافع فيها عن الظلم، فلن نلجأ لـ سيزيف وصخرته العنيدة ليعلمنا كيف نعيش بأمل مبتور الأطراف، إن أقبية الصمت الموغلة في الظلام والوحشة هي العدو الأول الذي يتلصص على مستقبلنا المترع بالغموض جراء عدم وعينا بحقوقنا مستسلمين بؤسا. إن لدينا كثيراً مما يسعدنا، ولكن مصابيحنا الداخلية مكسورة ومرايانا مشروخة، إن التفكير بحدودنا ومساحاتنا الموضوعية والزمانية والمكانية، ليست رفاهية هي أساس عيشنا إن أردنا أن نعيش بكرامة وإنسانية، فبناء قلعة للحرية الإنسانية هو عمر أطول من عمر من يحاول قصف هذه القلاع بعد بنائها، والإرادة

القويــة الهادفــة إلى تنميــة مجتمــع، لا تــصنع إلا عبقريــات مــن حريــة منظمة. فهل أقدمنا على رسم مسار شجاع وموضوعي لمستقبلنا ؟

ينام الظلم على شكل حية..!!

كل ليلة أغادر العالم الحسيّ، لأرفرف في عوالم أخرى مختلفة عما ألفته، أتنقل بين هذه العوالم على بساط ريح يحلق بي في سماء صافية ويكون لي كسترة نجاة من الغرق، فيتدفق الفرح بداخلي كالنهر المتفجر من أعالي جبال الروح، ليبني بيني وبين اليأس حجاباً مسدولا، تقهقه روحي احتفاء بعوالم خالية من الجور، لتسامق الثريا في علوها. إن بحثنا الدائم عن العدالة هو مطلب إنساني يرتقي بنا عن مواطن اعتدنا أن نراها كمسلمات أو قواعد لا يجب كسرها، اشغلتنا رغباتنا الممتطية نية الكمال عن الآخر، وعن قيم نهّاضة لسلامة بشريتنا من الجور والظلم.

لن أكفكف عبرات قلمي، بل سأطلقها لتسيل وتجرف كل مافي طريقها من ألم ووجع إنساني، كان الفيلسوف "رينان" يقول (لكل مسألة وجهان)، إلا الظلم في نظري فليس له إلا وجه واحد أسود كئيب، وجه مرعب كـ ظلمات اللجج، وكأرواح الشياطين، هناك مشاعر تعتري المرء عندما يحس بالظلم وكأنه يسقط في حفرة تهوي به إلى المجهول إلى الظلام وصورة داخل رأسه تسير بسرعة الضوء تطرح تساؤلات دامية القلوب، ذلك الظلم الذي ينام على شكل حية، يطوّق كل من يمر به ليعصره

ويقدمه وليمة للألم والشقاء المتواري بين شقوق البشر، ذلك القميء كـ المسخ "فرنكشتاين"، صنعنا الظلم لنتوافق مع الأنا المزروعة بداخلنا كشجرة امتدت عروقها ضاربة في عمق الأرض، ونؤكد مقولة الحكيم الهندي (كل ما تشتاقه الأرواح، تبلغه الأرواح)، فالروح البشرية متعددة الوجوه والرغبات والمتطلبات، والظلم كما العدالة تشتاقها بعض الأرواح المسكونة بطفولة تعيش في عالم الكبار، إن يد الظلم تلطمنا لنصحو من غيبوبة حطت رحالها على قيمنا ومبادئنا، وعششت في نفوسنا، لندك عروش الجور ليقوم على أنقاضها نفوس فتية غير مضعضعة الشأن، نفوس تبتسم بصدق للحياة، وتؤمن بالكارما التي تقول (بأن الأفعال تتبع صاحبها وتصنعه).

ذئبي الأسنان..!!

تهاجمنا أحيانا مجموعة غريبة من الأحاسيس قد نراها، ونلمسها، ونسمعها، كشعاع يكتسح سماء أرواحنا، فنحس بمتعة لا تضاهيها متعة، وتنتشي أنفسنا وتربو بالحنين لهاتف الاكتشاف، نكبر في هذه الحياة وتكبر معنا مداركنا مفاهيمنا اتجاهاتنا، طموحنا الشبيه بعينين أضناهما السهر، و يختلج في صدورنا كثير من الرغبات التي تتنازعنا وتحوم حولنا كما الغربان، لأنه يغيب عن فضولنا اكتشاف شخصية الحياة المتقلبة، نعيشها بكل ما فيها من مد السخاء بالسعادة، وجزر البخل بالفرح، نخوضها بصراع يفرض علينا بشكل قسري وأحيانا طواعية، لماذا لا نستطيع الهروب من هذا الصراع؟

عندما نقف على حقيقة الحياة ثمة نسيم من الطمأنينة ينبعث، فنلف هذه الطمأنينة بمنديل أبيض ونمضي، بعض الحقائق تتكثف في نفوسنا كما يتخثر الدم في الجروح، يلفنا دوار لا يمكن الفكاك منه، أو التعرف على ماهيته، نولد فنتحول إلى كائنات صغيرة لها صفة وشكل الإنسان واحتياجات الحيوان، نكبر وتكبر معنا مداركنا مفاهيمنا اتجاهاتنا، طموحنا الشبيه بعينين أضناهما السهر، يختلج في صدورنا كثير من

الرغبات تتنازعنا وتحوم حولنا كما الغربان، لسنا بحاجة إلى دهور نعيشها لندرك حجم بشريتنا ومصيرنا المنتظر نراوغ الأيام بنفاق، ندخل اختبارات الحياة لنخرج بتاريخ من النجاح أحيانا والخذلان أحايين أخرى، نتاجر بكل عاطفة نقية، فنريق البصر بتأمل هذا العالم الفوضوي التنظيم، نواجه كثيراً من الحواجز والعقبات، نعيش الحياة بشوق ولهفة وحشية، ونبتعد عن فكرة العفوية في ماهية عيشنا، وفي نعيم الحياة المتناثر ثمة عين كبيرة ترقبنا لتطبق أجفانها علينا في الوقت المناسب، فندخل العالم الآخر بروح مستسلمة وتساؤلات تشق كبد الحقيقة، وكأن حياتنا السابقة بنيت على أرض رملية متحركة انهارت من تحتنا ذات إفاقة، هناك أشياء لا يمكن علاجها بالسكوت عنها، هو ليس نوعا من التحامل بقدر ما هو سر داخلي ممعن في الهدوء كعمل لا يمكن شرحه، وحقيقة الموت الذي ينتظرنا عند آخر الطريق وبابه موارب نحو عالم آخر، إن الأمية في المسائل الثابتة هو أكثر ما يصيبنا بالتوتر، فالخوف من الموت هو الذي يجعلنا نضع له تصورات وأشكال فـ نتخيله ذلك المسخ ذئبي الأسنان الذي يقف بانتظارنا يفرك يديه بطريقة تميز حماسه، يهدر كالرعد الذي يلي البرق، متباهيا بقدرته على القضاء على نهضتنا الداخلية مدمرا ينابيع أنفاسنا، يسحق قلوبنا ويصرع زهرة الحياة فينا، وشريط ذكرياتنا يدور

فنذكر البسمات، وإخلاص الأصدقاء، الأحبة، واللهاث الـذي أخـذ منـا كل مأخذ، إن حلقة الموت التي تطوقنا تسير وفـق قـوانين الكـون، ومـن حاول الخروج منها أو كسرها سوف يؤذي نفسه.

حكاية لم يدشّنها احد..!!

أحيانا أرغب في النوم أكثر وأكثر... لا أرغب في النهوض من سريري، كالخفاش أغطي جسدي باللحاف، لا أريد رؤية الضوء، أرغب في استدعاء المسافة بيني وبين الزمن فيسفر سوار الدقائق عن كابوس مزعج يزلزل كياني، فتنتفض أطرافي الرقيقة لترقص على نشيد "لوركا":

وعلى ريح آب تجيء الغيوم..... فأحلم أني لا أحلم بنبع.

على صفحات زمني انتظرت رجلا يخلدني كـ "غورنيكا" عشق بيكاسو التي رسمها لتعبر عن الجمال الباكي، فأنا لا أحب أن أكون هامشا في مسودة رجل ينظر إلي كمفكر يبحث في مسودات يدي عن بصمات قُبل لرجل غابر، و يحاول استنطاق قوارير عطوري لتشي له بأسرار عشقي، وهو لا يعلم أنني لم يستهوني إلا عطره، ودفء خريفه ونار اشتعالي بهِ، وبصوفية "دانتي "أعده أنني سوف أعقلن جنوني به حد الرزانة ". يقول بيكاسو": "أنا لا أقول كل شئ ولكني أرسم كل شئ" فتنمو الورود، وكثير من الأعشاب الخضراء، ويرحل العشق إلى السحاب، وتطير فراشات الجمال نحو ضوء الشمس، وترحل قصائد السيّاب مع المطر.

على نول البعد أرسم مسافات شوق الغربة المفعمة بحنان صاخب

راقص على ألحان التشظي، محطما أباطرة الجفاف، محاولة فكَّ أزرار قميص الزمان ، كي أستخرج كنوز كلمات تنزلق كأوراق الأشجار الصفراء على سلم الهواء. أرتمي على كتف الحياةالدافئ كطفلة تائهة لا وطن لها إلا عيني هذا الكون، لأسترجع مدينة قلبي التي احتلها رجلٌ بسرعة الضوء واضعاً زنبقة حمراء تزين شعري، فأعود مع عينيه إلى شواطئ جزر الكناري في "لاس بالوماس"، باحثة عن حكمة ليست موجودة بالتأكيد، ومقتنعة بفكرة القانطين من الشوق كنقش فرعوني في ذاكرتي، وعلى صوت موسيقى ناعسة أحاول إنعاش روحي التي تتوعدني بجرح يُطل على مصَاطب حِكايات الجدات الفاضلات، كطفل خديج هو قلبي، لا يستطيع العيش إلا داخل حَاضِنات، فتتحول روحي إلى نهر جاري تحت أشجار وارفة تشق عنان السماء ويصدر حفيفها صوتا مغموراً بخذلان قادر على خنق صفحات الكون.

أريد أن أراهن على أبراج الفرح القليلة، لأسافر عبر بساط الريح السحري إلى نخلات العراق لأصادق "جلجامش " الذي سحرني بقوته، وسوف أخالف نظرية الاحتمالات التي تقول : "إن الذي حدث في الماضي السحيق يمكن أن يتحقق في المستقبل العميق " فأنا لا أتوافق مع هذه النظرية لأنها تكرار لما حصل، وسوف أثبت أن هذه النظرية قادمة من العصر الطباشيري عصر انتهى.... وانتهى فقط.

راقص على ألحان التشظي، محطما أباطرة الجفاف، محاولة فكَّ أزرار قميص الزمان ، كي أستخرج كنوز كلمات تنزلق كأوراق الأشجار الصفراء على سلم الهواء. أرتمي على كتف الحياةالدافئ كطفلة تائهة لا وطن لها إلا عيني هذا الكون، لأسترجع مدينة قلبي التي احتلها رجلٌ بسرعة الضوء واضعاً زنبقة حمراء تزين شعري، فأعود مع عينيه إلى شواطئ جزر الكناري في "لاس بالوماس"، باحثة عن حكمة ليست موجودة بالتأكيد، ومقتنعة بفكرة القانطين من الشوق كنقش فرعوني في ذاكرتي، وعلى صوت موسيقى ناعسة أحاول إنعاش روحي التي تتوعدني بجرح يُطل على مصَاطب حِكايات الجدات الفاضلات، كطفل خديج هو قلبي، لا يستطيع العيش إلا داخل حَاضِنات، فتتحول روحي إلى نهر جاري تحت أشجار وارفة تشق عنان السماء ويصدر حفيفها صوتا مغموراً بخذلان قادر على خنق صفحات الكون.

أريد أن أراهن على أبراج الفرح القليلة، لأسافر عبر بساط الريح السحري إلى نخلات العراق لأصادق "جلجامش " الذي سحرني بقوته، وسوف أخالف نظرية الاحتمالات التي تقول : "إن الذي حدث في الماضي السحيق يمكن أن يتحقق في المستقبل العميق " فأنا لا أتوافق مع هذه النظرية لأنها تكرار لما حصل، وسوف أثبت أن هذه النظرية قادمة من العصر الطباشيري عصر انتهى.... وانتهى فقط.

في ارض اللوتس المقدسة..!!

تمتد يد الأرض نحو سماء العطاء، وتجتمع نجوم خيّرة على أعتاب السماء، والشمس واقفة ترقب حراك الليل المتساوي بالنهار في انبثاقهما، عندما يرخي الليل سدوله على الحقيقة، نتطلع من النهار أن يكشف هذه الأستار المختومة بعبارة سري، نحن كثيرا ما ننسى أن العلاقة بين الأرض والإنسان علاقة ضاربة في العمق، وأن بين خطوط طول الأرض ودوائر عرض الإنسان لا أحد يفكر في هذا العطاء الذي لطالما شهدناه منها، نأتمنها على كل ما فينا ونستودعها أسرارنا أحلامنا طموحاتنا نشتبك مع خضرتها وترابها ومائها بعنف مخملي فتبتسم لنا ابتسامة تجري كأنها نهر متدفق، محتضنتنا على اختلافنا من البدو الرحل وخطوطهم التي تميزهم عن ساكني المدن المتزحلقين فوق المظهر، حتى ساكني أكواخ الثلج، هنا تعاونني رياح أفكاري الشمالية على الدوران بتساؤلاتي متجاوزة ريحاً شريرة تسمى " الأنانية"، هل نحتاج أن نفهم الحياة التي تحمل عينين نهريتين حتى نعيش فيها ؟

وفيرة هي عندما تهبنا أكثر مما نستحق فنرتدي رداء الحكمة ونتحول إلى زلال برهافة جناح فراشة بيضاء، لنحاول إتقان مراوغة اللحظات كي نصنع عالماً يرشح كـ ضماد شفاف بالإنسانية المترعة حكايا.

كُنتُ قابَ حُبَينِ أو أدنى..!!

كانَ بوحُه أنيقا... كـ ملابِسه البَيضَاء بيَـاض قلبـه، وحركـات يديـه التي توحي بالثقة والصدق، لم يكن مغرورا كما يقول عنه الآخـرون، بـل هو الاعتداد بالذات، والكمال الأخلاقي، وكعادة الرَجُل عندما يتحـدث فهو يرتدي قبعة الخبير العالم بكل خفايا الكون.

قال لي بدون مقدمات :لا أحب الغروب..! ثم أكمل... إن الغروب كآبة، تغيب الشمس وتسحب آخر خيوطها مـن الـضياء، تودعنـا بحـزن وبوهج برتقـالي خافـت، لطالمـا تـساءلت عـن أسرار الـشمس هـل هـي الشروق والغروب فقط ؟ أرى في الغروب يا زينب سيماءِ الوجوه المنهكـة من العدو كثيرا، تحط رحال الملامح عـلى أرض الألم المقفـرة مـن الأمـل، الناس كطيور تروم فضاء أزرق لا تستطيع الوصول إليه.

قاطعته : هل تنتظر من يزيل سوء التفاهم بين الورد والأحجار؟ بين الماء والتراب ؟

بين الغيمة والمطر ؟ لا يوجد أمطار بـلا رعـد أو حتـى صـواعق، لا يوجد بشر أنقياء كالثلج، هناك بشر كندف الثلج تتساقط ثـم تمـوت عـلى رصيف الحياة..!ما بالك موجوع يا صديقي هل ستقابل حياتـك بـأعلام منكّسة ؟

عطر فل على كفي..!!

هاهي الفراشات تتطاير من شرق قلبي حتى غَربه، باحثة عن زهور تأوي إليها، وفضاء تسكنه بـ رفيف أجنحتها الشفافة كدمعة فرح ليستوضح غسق قلب مكانته عند فجر شتاء روح باردة.

وجوه فراشاتي يعلوها تجاعيد ألم اتخذ له مكانا قصيا، طغى على مخمليتهن الفاتنة، رذاذ عطر يتطاير على كفّ قلبي رائحته خليط من فُل، كالوردة القابعة في منزلنا وتأبي التخلي عنا حتى لو رحل عنها الأحباب، وفية تنشر رائحتها مع كل هبة نسيم، أو عصف ريح، يتضوع المكان برائحة زكية تشي بجمال فتان من عَبق يستوطن الشرايين تُفرحني هذه الفُلة السعيدة، متسامحة كأبي، وطيبة كأمي، زرعتها في قلبي لتسعد فراشات روحي الحائرة، بارعة هي في استنطاق مشاعر كل من حولها، فهي تستحق التصفيق، ونجمتين من الحب.

أجَمَلُ أوراق العُمرْ...!!

عند ولادتنا نُقيّد في السجلات الرسمية بأسماء قد لا تعكس محتوانا الداخلي، كدليل لثبوت نسبنا لمجتمع البشر، وتأكيد لحضورنا الإنساني، لنخرج بوثيقة ولادة تُسعد الأمهات وتعزز رجولة الآباء، بعدها تشرع أبواب إثبات وجودنا على مسرح الحياة، هذه الأوراق قد تكون هي الوحيدة التي لن تكون نسيا منسيا، نكبر وفي كل محطة من محطات أعمارنا نستلم ورقة جديدة لتؤكد لنا مدى فاعليتنا في مجتمع ضاجّ بالاختلاف والتتابع، نجترح مساحات من أجل البقاء وتأكيد الذات، أوراق متتابعة لا تنسخ غياب بعضها، وتحت وطأة الزمن نلوذ تحت ظلالها الوارفة، المصاهرة بين هذه الأوراق تكون دليلا على نجاحنا، مثابرتنا، صدقنا، أو فنائنا، إنها المعانقة لأفق أرحب، يمتد من ورقة إلى أخرى ومن زمن إلى زمن، وبواقعية كـ واقعية "مورافيا" سوف أضع أوزار الأسئلة لتتلاقى كالأشجار المتعانقة فروعها، ول تمُر على صِراط الإجابات المختلفة باختلاف أوراقنا، ترفرف أوراق العمر شاديات تبدأ بخُضرة برّاقة، وتنتهي مُصفرّة بعد انقضاء أجلها، وبين البدء والنهاية تاريخ من حياة جميلة، بائسة، شقية، أم سعيدة. وبطبيعة الزمن المتقلبة الهادرة كموج

يطغى على بشريتنا توكيدا لذواتنا بتلك القُصَاصَات، ولكن هل هذه الأوراق هي ما تُرتِل إنسانيتنا، فتنمو على حافة الهاوية شخصيات محمّلة بالأخلاق الأفكار، التساؤلات، المشاعر المتضادة من الصدق، الحب، الطيبة، الشر، التململ، الكراهية، الحقد، صفات كالعسل تلتصق بنا، وبطبيعتنا الناقصة التي تنشد الكمال المزيّف في كل وقت وفي كل عمر، لا نحاول الالتفات إلى الوراء بل غالبا ما نهرع إلى المستقبل بأكبر قدر من الأوراق التي تجسدنا أمام أنفسنا، إذن هل هو قلق الخوف من المجهول الذي لا نستطيع وصفه أو تخيله في لوحة الدنيا المتداخلة بانتظام ؟ نغزل في نول الفكر حكايات من أجل البقاء وفرط التغيير والتسلق على حبال الأمل، كل ما نفعله هو انعكاس لما يعتمل داخل رؤوسنا الفذة المحتضنة لانفعالاتنا النفسية بكل حنو ورقة، ولكن في بعض الأحيان تكون هذه الحكايات هشة وخفيفة كالغبار تطير مع أول نفضة، فهي لا تستمر بغيّها في احتطاب عقولنا، بل تتخلى عنا لأول طارق يطرق حياتنا، لـ يحصحص البؤس من كأس الفكر الفارغ الذي يرفض أن يمسك بلجام الموجودات، لنستوي أمام مرآة أنفسنا، كصيف يحضر قبل ميقاته بأيام، هل نصفح عن إساءتنا لأنفسنا بتصنيفنا بعدد أوراق مُكرّة مُفرّة امتلكناها ؟ لننادم أنفسنا إذا جنّ ليل السؤال، ولننظر إلى كل ما حولنا بحرارة ملونة تتجاوز صقيع

سيبيري يلف أرواحنا وعقولنا، لننصت لنا ليس من خلال أوراق الحياة المنظمة، بل من خلال أوراق الحياة الملونة بأزاهير كل ما هو جميل وعلى حد تعبير "شارل بودلير": "إنه باختصار عالم تتجاوب فيه العطور والألوان والأصوات " هو عالمنا الروحي والعقلي والواقعي، إذن لنكتب أفكارنا ولكن بلا وصيّة.

هل هوَ الذبول أم القُحُولْ ؟

تتهاوى شمس العمر بنا بلا خط رجعة، في عصر ذبول الإنسان، نُعلّق كل ما يحصل لنا على مشجب المؤامرة والضعف والتشتت، ولازلنا مُعَلَقين مثل معلقة امريء ألقيس على جدار الزمن، نخرّ ضعفا، وننهمر كآبة من أعالي البؤس، هل أنا سوداوية..لا لا بل هي الواقعية التي تفتح أستارها عن نوافذ عقلي، كان الفيلسوف كونفشيوس يحلم بتحويل الصين إلى " مدينة التوافق العظيم" الهدف منها هو أن يكون هناك مشاركة وتعاون بين الناس، وهم مُدَثَرون بـ دِثَار الإخلاص والمحبة، ولكن هل وُفِقَ كونفشيوس في تشييد مدينته ؟ باعتقادي أنه كان يبحث عن مخرج للإنسان ليُنقذه من وحشية نفسه، ويمسك بيده ليقوده إلى عالم أرحب وأوسع، عالم خارج نطاق الذات المُغرقة في الأنا، ليسكب عطر روحه في حالة تشبه التأمل والزهد، مبتعدا عن التوحد مع الذات، منجرفا نحو ذوات الآخرين، ليتحد مع آخر ذرة من خير فيهم، كـ "فن روحي " لأنه يتعامل مع التجربة والممارسة، وك "فن عقلي" لأنه يتعامل مع أصول معرفة الذات، والحكمة، وهي ليست "أسراراً نادرة" بل هي آليات تجعل التعامل بيننا نحن البشر ميسورا وأكثر فائدة، وتقلل من

مخاطر تصاعد فاتورة الأنا البشرية، فكلما تصاعدت فاتورة الأنا البشرية، كلما تأثرت فرصة الحصول على مقعد خالٍ في رحاب أرواح البشر المحيطين بنا تأثيرا سلبيا. إن تعقد تركيبة النفس البشرية تمثل مصفوفة من التحديات والصعاب التي يواجهها كل فرد يوميا داخل نفسه، ومن أجل إعداد نفس سوية متوازنة، يتطلب نسف كل الصور التي رسمناها عن أنفسنا وعن غيرنا، وإصرارنا على التشبث بما نعتقده، على المنوال نفسه وبالأسلوب الذي نستخدمه كل مرة في التفكير، لهو أول خطوة تستبعد نجاحنا، ولنصل إلى أعلى مستوى من مستويات الخبرة الإنسانية علينا أن نؤمن بالتغيير، ونجعل عقولنا أكثر مرونة، ولنسطر تفاصيل قد تغيب عنا في زحمة الاغتراب في فيافي الذات. هناك أشياء تأتي من أعماق لا وعينا، لا عقلانية، سطحية، متناقضة، هل نستطيع تفسيرها ؟ قد لا نستطيع تفسيرها ولكن نستطيع أن نتحكّم بها. أعتقد أنها تشبه مشاعر الحب، والكراهية، كلاهما يحملان الغموض نفسه، أحيانا تظهر الكراهية جهرة عنوة، وعلى المستوى نفسه قد تظهر مشاعر حب تتفتح كالأزهار في حدائق النفوس، لنبتعد قليلا عن صراط التساؤل والحيرة، ولنوغل في أرض الإنسان مع كلمات جُلّ همها الوضوح وإزالة اللبس عن ما نشعر به حتى آخر نسغ. منذ عصر رجل الجليد "اويتزي Ötzi "وحتى الآن لم

تختلف خصائص الإنسان. إننا لا نحاول فهم بعضنا، إننا نتعجب فقط، ونقف عند هذا المستوى من ردة الفعل، لا نُتعِب أنفسنا في البحث عن الآخر واكتشافه، ولا نحاول أن نصنع تحالفات بشرية ضد الحياة وحرارتها اللاهبة، ويمكن تلمس الأفق النفسي لبشريتنا حينما ننتقل من الزهد بأنفسنا، إلى احتوائنا للآخر على طريقة حاتم الطائي، ولكن بأنماط جديدة تتناسب مع سلوكنا، أفكارنا، ومعتقداتنا داخل مؤسسة بشريتنا الجديدة المليئة بالبدع التكنولوجية، والاديولوجيات الفكرية، والتنوع الثقافي، والعدو الأوحد للإنسان هو التخلف المُغَلف بمستويات منخفضة أو قليلة من الخبرة الإنسانية، فهو يتربص بكل محاولة تغيير نرغب في تجريبها، العطاء والتواصل الإنساني، يتطلب المرونة التي تحتوي قدراتنا كبشر وليس مواضع العجز فينا، لا يوجد فرد يرغب أن يكون عديم الطعم، ولا توجد أفكار ساذجة، وليس هناك خرائط تفصيلية نتبعها في طريقة عيشنا وتعاملاتنا مع الآخر، إذن لماذا نعجز عن التواصل مع بشريتنا ؟هل هو ذبول همّتنا، أو قحول نفوسنا التي تلوثت بـ غبار الهم؟

ليل سَاج..!!

تأملت السماء... كان الليل ساجياً والهواء راكدا...وكأن الكون أفرِغ في قالب من الجَمال النادر، و القمر فيه من شيم العُقلاء شَيء كثير..! أرسَلتُ بصري على سَجيتهِ يَستَطلع ما وراء الظلام، فإذا بي ارفل في حُلة ضَوء القمر القشيبة، أحب ضوء القمر عندما يكون في ريّق العمر ومُقتبل الشَباب، لعله أعنف حُب عرفته يختلج في صدري، يَنسّلُ الضَوء من بين غَابَات الجَمال ليُعبّد طريقا لأشباَح تتَطاير كالبُخَار اللامبالي منتظرة سُخام القدر.في الصَباح وعلى النَقيضُ أرى الشَمسَ كاسِفة الوجه، يعلو وجنتيها كلف من ذرات غبار الكون وكأنهن أميرات الحُسن يرقصن حول وَجهِهَا السّادر، لا يفنى جبروت إثارتهن، وتفتح أزرار الشمس الذهبية في قلبي المصاريع المغلقة المرتجفة..!! نفسي تصيخ السمع إلى نفسي، وتنثرني كالورد حولها، تبنيني وتهدمني، تشكلني كالشموع المتساكبة على زجاج الرِّقة، لا أستطيع أن أتخلى عن الحب فهذا ضرب من المحال دونه خرط القتاد، والحياة متى خلت من خلجاته وخلت من لواعجه تغدو مملة مضجرة يضيق بها ذرعي، وكُلما اشتَقتُ إلىَ المُحال ألجأ إلى بُحيَرة الصَمت الحكيمة، في زمن ثرثرة المشاعر، وأصوات هواتف

القلوب، وانكسارات الآهات أرتمي بين أحضان مدفأة الصَمت بكُل طمأنينة طِفل حيوان الكنغر، لأختبئ في جيب الراحة، ليعُم السّلام أطراف قلبي..!!

لأتعلم أسطورة لا تتحقق، لتتكامل كموشّحات شرقية، حتى يخامر قلبينا الاطمئنان، وبين الأنا والأنا، والنهار ينفث الظل والشبح، كثيرا ما سخرت من الشبح بين تيه من غرور ووجع، أبني شوامخ جمهورية كلماتي المتآكلة حد الصدأ، إذن لترمد عيون الأمل، ولتعبس في وجه الزمن، فليلي طويل كالثعبان..!!

هي البتولا وهو الآس..!!

هناك في البعيد في مرفئي الصغير، على أطراف الكون، و في خلوة مع نفسي لا تقبل القسمة على اثنين، تعودت أن أجمع أحزاني لأضربها مع فرحي حتى أرتق سعادتي المثقوبة بحبه، قلت لهَ ذات حب : هل ستصطفي عطري من بين آلاف البشر؟

لكنه صمت كعادته عندما يكون جادا، ف ماتت ياسمينتي التي كانت تطال القمر، حرائق الألم في صدري اندلعت، سوف أشعل همجية مداد قلمي لعلي أرتاح. انتظرته انتظاراً لا يسمن من حب ولا يغني من أحلام، سوف أحرر قلبي من رماد الوسن، فقد سقطت من جنة الحب كطير نسي جناحيه على شرفة صدر الوجد، سوف ألملم حقيبة أحزاني وأمضي، فقد ماتت أحلامي مقصوفة الوعد، لم أعد أؤمن بمثالية أفلاطون، حروف مظلمة تشي بظلمة القبور، أواه يا قبرا يضم رفات كلماتي، سـ أثقب رئة الكلمات حداداً، لا أعلم لماذا لا أجيد عزف الكذب على أوتار القلوب إذن لتُرفع المشاعر وتجف القلوب.سوف أحتكم إلى شجرتي الوقورة، ف بين الشوق الجريح، وبداية يوم سادي تعود الضرب بسياط من حروف رأسها جمر، مئات الترجمات القلبية، وبين الحب

والإدراك مسافة ألف ابتسامة زاهية لذلك :

هو : يرغب الصخب في بحر أنوثتها.

هي : ترغب في استنطاق رجولته.

هو : يرغَب الخُروج من شُرفة عَينيها المُعشَوشَبة حباً، المَحشوة بالدَهشة.

هي: توشوش في أذنيه كصوت الزنابق، لتُخبره عن طائر قادم اسمه فينق الحب وتسأله متى ترقص خلف قوس قزح ؟

هو : كا القمر على وشك أن يختفي، لم يتبق منه سوى قوس أبيض رفيع.

هي : كشَجَر الحور يتَسابق الآخرون لاحتطابها.

هو : مثل سَكِينَة العَاشِقين.

هي : جَمِيلةٌ كعِيد النَيروز.

هو : هل تُحِبني حبا جميلا يتناسل منه خيوط لُجَينية من شَغَف ووَله؟

هي : تتسَاءل هل حُبي له مَبتور ؟

هو: يُسميها البتولا "شَجر الحِكمة " شجرة ناعِمة ومُرتجفة تتميز عن الاشجار الاخرى بقدها الضّامر والمشُوق.

هي : تُسمية شجرة " الآس" شجيرة الشعراء، وعلامة النصر

والحب عند قدماء اليونان.

هما معا : يتبعان خطى الياسمين ليُعانِقا مُدن النّسرين وعَواصِم النرجس، ليَحظى كل منهما بـ حُرّية التسلل إلى عالم الأمَل.

لا...لا هُو جَنَاح مَلاكْ...!!

لي قلبُ نجار، وكلّ ما ألمسه يصبح غابة، أحبّ عالمَ الريح وغالباً ما تختلط عيناي بأوراق الأغصان، لا أُميّز بين النساء والربيع، بين الرجل والشجرة، بين الشفاه والجذور.

الشاعر التشيلي "بابلو نيرودا"

تساءلت من أين تأتي هذه المشاعر اللذيذة التي يُحِس بها المرهفون، أمثال (نيرودا)، هل يستخرج الشاعر مشاعره الجميلة من مشاعر أخرى أكثر عمقا، كما حدث في عصور الهند القديمة عندما وصل إليهم كتاب "الفيدا" المؤلف من أربعة أجزاء تحوي تعاليم وشعائر دينية، فاستخرج الكهنة من كتاب "الفيدا" ديانة جديدة أطلقوا عليها " البراهمانيه" فهؤلاء يعتقدون بالإله "براهما" المُتصف بالمعرفة والحكمة، والموجود بكل مكان..!

هل هي عملية اشتقاق، أم النفس البشرية تحتاج دائما لراع حتى لو كان وهماً، نُشّيد الرمز، نقتنع به، ثم نتخذه قوة وقدوة.

قرأت مقولة جميلة أجهل كاتبها يقول: " إذا أنت تقرأ ما يعجبك فلن تتعلم أبدا "، هل نقيس هذه المقولة على المشاعر، بمعنى أن لا نتحيز

لمشاعرنا بطريقة حديّة، فندعها تختار ما تشاء بعد أن تجرب، إذن التجربة هي التي قد تعجبني وقد لا تعجبني، ولكن يجب أن أخوضها.

قرأت مالا يعجبني من المجنون (شارل بودلير) الموغل بالحديّة، وهو الذي كان ينفث سحر الجمال في كل قبيح، حيث جعل من صديقته "جان ديفال" قليلة الحظ من الجمال، والحقيرة في تعاملها معه، والتي كانت لا تمل من خيانته وهو يعلم ذلك، جعل منها " تمثالاً للجمال".

ويرى بودلير أن الجمال الحقيقي هو شيء غير مُبهر وعلى حد تعبيره:

" هو كسل الذهن" فهو يجعلك تعيش في حالة من البلادة والخمول لا تستطيع بعدها أن تتناول ما وراء هذا الجمال..؟؟

مع أن توفيق الحكيم يقول: " الجمال هو العذر الوحيد الذي به نغفر للمرأة كل تفاهاتها وحماقاتها "..!!

اختلت بوصلتي فلا أعلم أي الجمالين يقصد الحكيم ؟؟

وقرأت ما يعجبني من بودلير أيضا "وقد أكبرت رأيه "عندما صنّف الحُرية وقَسمها إلى :

١ - حرية تطلق العنان للمفكرين والعباقرة.

٢ - حرية تقيد السلوك العابث.

"انتهى"

و سؤالي : هل المجاهرة بالحب هو تسول للشفقة أم للحب؟

وهل التستر على الحب هو إعلان عن وفاة الحب ؟

باعتقادي أن الحب يخرج من رحم نفوس طيبة رقيقة سهلة، نفوس صحيحة مندمجة مع جماعاتها الداخلية بكل انسجام، وبقبول غير مشروط، تتولد مشاعر تجيء من أعالي الروح هلامية.

غامضة المنشأ ولكنها ممتعة، مستوحدة في طريق يحوي مروجاً من فرحة، وسنابل من قمح النشوة، يصهر الروح ويعجنها بماء من مطر الرقة والرهافة، الحب ينشأ ضد مشاعر أليمة تخترقنا كخنجر، إنه يجعل الليل أكثر هدوء، والقمر أكثر جمالا، والبشر أكثر طيبة، وملامحنا وادعة متسامحة مع الكون.

هل يستطيع الحب وحده أن يقتل " الموات " داخل نفوسنا؟

يخيل إلي أن الحب جناح من أجنحة ملائكة العذوبة، فهو يتجاوز حدود مكان النفوس إلى عالم أكثر علواً واتساعاً، عالم يتفتح بزهر المحبة، مبتعدا عن صِراط القسوة والألم، أرواحنا تنتشي عادة بالحنين لرياح الحب، وبعيدا عن ثقافة استهلاك الحب، في ظل فقر مدقع لنفوس حط عليها غبار الروتين، ممكن أن أصف الحب كوحدة متكاملة بأنه " كإنتاج فيلم وليس لقطة" ولا يعني الحب في نظري أن أسهر كـ قديس، ولكنه

يجعلني أرتدي في الصيف نسرين أصفر، وفي الشتاء فروا ناصع البياض، بعض القلوب تختار أن تعيش في قلب الاستواء، وبعضها الآخر يختار أن يعيش في أقصى الشمال بثلجه وبرده القاتل، ولكن هل معنى هذا أن تتربص قلوبنا بكل شخص يمر بها ؟

"كما كان دور (هنري فورد) في اكتشاف وتطوير السيارة مساهمة بتكارية محضة، أي تبني فنون الإنتاج الكبير التي سهلت إنتاج السيارة بتكلفة منخفضة " لماذا لا يكون لنا اكتشاف لتطوير علاقتنا الداخلية النفسية لتستوعب الحب بكل صوره، حب الوالدين، حب الأزواج، حب الأبناء، وحب الأصدقاء، لماذا لا نتبنى فنون إنتاج الحب مثل ما فعل فورد في اكتشافه؟

باعتقادي أن الإنسان أسهل تطويعا وتعاملا من الآلة، وتعجبني مقولة لعالم الاقتصاد كينز صاحب نظرية الادخار :" إن للأفكار نتائج وتأثيرا على مجريات الأمور في عالم الواقع، كذلك تتأثر الأفكار بدورها أيضا بالتجارب التي حدثت في هذا العالم ".

إذن تغيير الأفكار حل، وفكرتنا عن الموجودات لابد من تطويرها فلو نظرنا إلى موضوعنا هنا " الحب" بطريقة أخرى وبفكرة أخرى بتفاعل أكثر مرونة مع الواقع، فنحن لا نحتاج أن نعلن وفاة الحب، بل

نحتاج إلى عقد إشهار لمشاعرنا الجميلة الفياضة بشجن الراحة والهدوء.

يُقال أن "الاختراعات هامة ولكن بدون التجديد والابتكار تعتبر أفكارا تنتظر الاستخدام" والحب هام جدا، وبدون تفعيل الحب بالسلوك يصبح بلا جدوى.

وأرفض التعامل مع الحب ك"عملة موحدة" أو بطريقة الحب الارتباطي، أي بطريقة حب المنح أعطيني وأحبك، وبحياد دافئ، سوف أخبركم أنني أحيانا أكتب مثل هذه الخربشات لأحمي نفسي من صدمات إضافية تمنحها لي السيدة الجميلة المدعوة "الحياة".

مُولَعَةٌ بالعُيون أنَا...!!

في طرقات مجتمع ثمل بالتسارع والتغير، نُجبَر أن نتواصل ونصل بأقصى سرعة حياتنا اليومية، حتى أننا نصل إلى مرحلة لا نشعر بمدى ألمنا أو سعادتنا حزننا أو شقائنا، نحن نسير بتتالي واختلاف، معتكفين بمحراب السرعة والتلاحق، نوغل في فيافي حكايات أرواحنا وقصصنا المختلفة، لدي مخاوف كثيرة مركّبة مثل الخوف من الموت وغموضه، من الوحدة وقسوتها التي تميتنا قبل أواننا، أغالب تجاوز نفسي بمغامرة تشدني للحياة، ماذا لو منحنا أنفسنا فرص العيش خارج حياتنا العادية ما هي النتيجة ؟

أتأمل البشر وأتساءل هل أفرغت قلوبهم في قالب من الكآبة ؟ لا أرى أثرا للسعادة على محيّاهم، أرجع ببصري إلى هؤلاء القاطنين في حياة لم يجهدوا أنفسهم بمحاولة التعرف عليها، وأدقق أكثر في عيون هؤلاء الناس، هي ما يربطني بهم، هي الشفرة التي أفك بها إسرارهم، العيون لها "أرواح "، بعض العيون تحمل كثيراً من التغير تارة تأخذ صفة الحزن، وتارة تأخذ صفة الشرود والرحيل إلى عالم لا يشبه عالمنا، لطالما تعلقت ورغبت أن أسبر غور هذه العيون، التي أحيانا تكون جميلة ثائرة، غاضبة،

وأحايين أخرى تحمل راية الشقاء والوجع وتغيب في بئر الأسرار متجاوزة حدود الأفق البشري، ويوما ترفل بحلة السعادة، أو تتلبس روح تمثال شمعي، أشبهها بـ البحر عندما يستدير عليه الأفق بحنو، نحن نجرؤ أن نرسم حياة ومعرفة للأشخاص من حديث الناس؟

ولكن لا نجرؤ أن نرسم قصة حياة إنسان من خلال البحث في رمزه الإنساني "العين ".

ربما لأننا نخاف مواجهة الحقيقة، وهذه أضيفها إلى كوكبة مخاوفي في الحياة...!!

قصة خللي..!!

سوف أقصّ عليكم قَصة حياتي أو قصة خللي سموها ما شئتم....!!

تعودت أن آوي كل مساء إلى فراشي واثقة من الغد مطمئنة إلى المستقبل، وبرغم السهد الذي تكتحل به أجفاني إلا أنني أظل مطمئنة.في الصباح أصحو وأنا مبتسمة كعادتي، منتجعة فراشي طالبة للتأمل، مشغولة بتساؤلات عميقة الحضور أتحسس جسدي اللدن.. مَا مصيره؟ ما مصير كل ما حولي..؟ مشاعري الباهتة أشيائي الجميلة روحي القاطنة في عليائها... يالغرابة الإنسان..!!

ويا لأفكاري المريعة المشمئزة... لا أعلم لماذا أفكاري تارة تتخذ شكل العقرب، وتارة تختلج كما تختلج الحياة الجميلة، هل تَصّنُعْ الخوف هو إحدى اللذات.. ؟؟ ذات مساء، علق نظري بشاب قِسطه من الملاحة ضئيل، كان أسود الحدقتين، جذاب الملامح، وميزته أن رجولته قاسية، لا تملك إلا أن تصمت له، عندما لمحني توقدت عيناه وتنوّرت، افتر ثغره عن ابتسامة غامضة لم أفهم فحواها..! وبدأ يتربص بنفسي الحوباء الأمارة بالسوء. إن مهارته في استنطاق مشاعري تخفي قحول ضميره، مثل هذا العيّاث يوجد مدسوساً بكثرة مع الطيبين، لقد رغبت أن أستحضر جميع

الرجال الذين أحبوا في الماضي البعيد، رجال توسدهم الموت وقد أحبوا، وتمتعوا بالحب و ذاقوا لذته، أحب رجال الأمس القاطنين مساكن الحب المشترك العميق، لكم رغبت أن يسمع هذا الأجوف صوت مشاعري العالي الذي يصم الآذان أرغب أن أتخذ لي من الحياة رواية تعشوشب لها أطرافي ويزدهي بها شبابي..!!

حكاية بنت اسمها ثرثرة..!!

نقشت حبنا على قلب شجرة بعيدة تحكي مع الأفق حكاية بنت اسمها "ثرثرة" ورجل اسمه " الأضداد المتآلفة".

كانت تطوف بأفكارها بين صفا حُريتها و مروة حبها له، جمعتهما قيم، أفكار مبعثرة، أمزجة نارية، وحب المغامرة، هي : قلقة بطبيعتها، عنيدة بـ حريرية متناهية.

هو: دافئ كحياة العاشقين، صاخب بهدوء، طيب كروح الجدات.

قالت له وهي تفكر بعمق رافعة حاجبيها بدهشة يلفها كثير من الجمال : قرأت مقطعاً جميلاً لـ جبران خليل جبران "الأجنحة المتكسرة" "ما أجهل الناس الذين يتوهّمون أن المحبة تتولد بالمعاشرة الطويلة والمرافقة المستمرة.

إن المحبة الحقيقية هي ابنة التفاهم الروحي وإن لم يتم هذا التفاهم الروحي بلحظة واحدة لا يتم بعام ولا بجيل كامل"

بادرته بسؤال : ما رأيك، هل تعتقد ما يعتقده جبران ؟

أطرق قليلا وهو يلم شتات فكره كعادته الفوضوية المتناثرة رجولة قائلا:

يا ثرثرتي، أختلف مع جبران في ما طرحه، فالحياة دوائر مترابطة دائرة العشرة تولد التفاهم وأحيانا التشابه، ودائرة التشابه تولد الحب، ثم رمقني بنظرة خبيثة وسألني سؤالا مباغتاً: ألسنا يا عزيزتي متشابهين ؟ ثم أردف يتساءل، لماذا عندما نعجز عن تعريف الأشياء نسميها دائرة، مثل دائرة الشك، دائرة اللصوص، دائرة الأحلام، وكأننا نتحدث عن الوهم أو اللاشيء.... !!

قاطعته ثرثرة قائلة : دائرة التخلف أو كما تسمى "حلقة راجنر" لماذا سماها راجنر حلقة؟ وهل الأشياء لابد أن تكون مدورة حتى تصبح غامضة أو محل شبهات..؟ أيضا ما هو تصورك لقوس قزح... هو نصف دائرة، وطالما نحن نتحرك ومستمرون في الحركة فلا بد وأن نكون في طريقنا للوصول إلى مكان ما، وكأن طرف قوس قزح هو شيء يجب الوصول إليه. ونظل نسير نبحث عن الحقائق ومعايير الصواب والخطأ، نعيش كـ رحّالة نبحث عن النادر والمستحيل في بيادر الكون، محاولين اجتياز كل العوائق للوصول إلى المستحيل.قاطعني بكل هدوء الكون: لماذا يا ثرثرتي نهدر كثيراً من الوقت في التفكير بأشياء قد تكون من البديهيات..!!

أجابته ثرثرة : أليس الوقت يا عزيزي من الموارد النادرة ؟

نظر إليها باستغراب قالت له : سوف أشرح لك، يوميا نحن نتخذ كثيراً من القرارات الاقتصادية، متى نستيقظ من النوم؟ متى نتناول وجبه الإفطار؟ متى نتسوق ؟ هذه قرارات اقتصادية يحددها مورد "الندرة " وهو الوقت، وأنت تعلم يا عزيزي مدى صراعنا مع الندرة ومع رغباتنا الإنسانية، أي أن الرغبات الإنسانية تزيد كميتها عن الموارد المتوفرة التي تمدنا بها الطبيعة.

إذن يا ثرثرتي المسألة مسألة تعوّد واكتساب..!!

بمعنى أن الإنسان يجب أن يقمع رغباته الداخلية ليحل محلها عادات مكتسبة تتناسب مع الموارد الموجودة..!

ردت ثرثرة قائلة : أنت يا عزيزي توقد لدي شرارة الصراع بين نظريتين في التربية، النظرية الأولى تقول : إن التربية عملية تفتح من الداخل، أما النظرية الثانية فترى أن التربية عملية بناء من الخارج، وما نشاهده يروي لنا قصة الإنسان بفطرته ومكتسباته، والصراع يكمن هنا في كيفية اكتساب المعرفة، التعمق بفطرتنا وكيف نتعامل معها، ومكتسباتنا النفسية والاجتماعية لتهذيب هذه الفطرة لتتوازن الرغبات مع محدودية الموارد، ولا أعتقد يا عزيزي أنك مصاب بمرض الحضارة "أي عدم القدرة على اتخاذ قرار" أي لا تعجز عن قول "لا" لرغباتك

المتلاحقة.

الأضداد المتآلفة : ولكني عاجز فعلا عن قول لا لك يا ثرثرتي فأنت بالنسبة لي كالجبل العالي أحاول تسلقه دون مهارة أو دليل خبرة لكي أجاري بحثك الدائم عن الحياة، سألتني ذات مرة سؤالا لازال يدور في ذهني كان سؤالاً عصيّ الإجابة سوف ارتب السؤال : هل الحياة تموت فيها الحياة؟، سوف أجيبك الآن، إجابة يشوبها كثيراً من البساطة كقلبي الذي يحبك بلا شروط يا ثرثرتي، عندما تفقد شياً ثمينا عشت من أجله، تموت الحياة كـ القديس "أبيلار" ماتت حياته قبل أن يموت عندما فقد حبيبته "هلويزه".

على فكرة سؤالك هذا يا ثرثرتي يذكرني بسؤال تقادم مع كثرة الاستخدام وهو لماذا تظل الدول الفقيرة فقيرة ؟

ثرثرة: سوف أجيبك يا سيدي بسؤال مرتد يهزّ قلبك ويشتت ذهنك، لماذا يظل حبك لي كما هو لا يتطور ؟ كانت لدي أمنية أن أحب عالم آثار هل تعلم لماذا ؟حتى كلما تقادمت لديه كلما أحبني أكثر، وكلما رسم الزمن خطوطه على وجهي وجسدي كلما رآني أجمل وأكثر قيمة عنده. أعلم أنك تحادث نفسك وتقول عني مجنونة، أنا مجنونة بالفعل، ف أنا لا أحب الاحتكام لقوانين البشر التي صنعوها لتناسب مقاييسهم

النفسية والعقلية، الزمنية والمكانية، أحب الاحتكام لصوت عقلي وضميري، أضع قوانيني بنفسي، أنا من يرسم خريطتي النفسية والجسدية، المرأة لدينا يا سيدي مثل الدول الغنية بمواردها الطبيعية كـ غانا، كينيا، بوليفيا، إلا أنها فقيرة ولم تحقق سوى نمو بطيء، هل تعلم لماذا ؟ لأن هناك من يتحكم بها ومن يتصرف بمواردها، ولكنها لا تنجح، هل تعلم ما معنى هذا... هذا يعني أن الموارد المادية عديمة الجدوى بدون التنظيم والمهارات ورأس المال اللازم، أي أن المرأة إذا فهمت نفسها استطاعت أن تنظم ذاتها وتكتشف مهاراتها وتعتمد على نفسها بتوفير المورد الاقتصادي لها دون تدخل قوى خارجية " الرجل ".

الأضداد المتآلفة : أحبك يا ثرثرتي، ولكني أغالب تساؤلاً يتكرر بمخيلتي كـ تكراري لأخطائي، أليست نفوسنا ملوثة بمعادن غريبة ؟ فنحن أبناء التكنولوجيا الم تتغير خريطة قلوبنا ونفوسنا الرطبة وكأنه زُرع في داخلنا رقائق معدنية ؟ في محاولة فاشلة مني لتمرين عقلي على عدم التفكير، اشتعلت نار التساؤلات لـ تتلاعب بحاستي السابعة بضجيج عابث، سوف أدس أفكاري في جب عقلي، فهي التي هددتني بالرحيل مع الغروب، سوف أعانق طيف الكلمات البيضاء الممدودة على جسر الورق، فهي أحيانا تسلبني أمواج اعتقاداتي، لأنه بلا مشاعري فـ

الكلمات تتبادل اللمسات مع الفراغ فـ تطير عصافير الأفكار الساكنة في عقلي، ولكن حجم عصافير أفكاري ثقيل، اكتشفت أن أعشاشها بنيت من المعادن المتطايرة في أجواء روحي وجسدي، الم أقل لكِ أن التكنولوجيا غزت أجسادنا ؟

ثرثرة :

كـ اخناتون أول داعية للسلام...كنت أنت داعية السلام لقلبي، لأجلك.. بنيت ناطحة سحاب من الورود الملونة، نصعد إليها ونحن نتسلق حبل الأمنيات، قصتنا اثنان جمعهما رابط الحب والألم والأمل، نحن لسنا متشابهين...جنوني يكبحه تعقلك، رغباتي المتلاحقة تسكتها سكّين تحليلاتك لي، جمعتنا حماقات الحياة، نجتازها بمرح، كأمير فرعوني..تنثر فوق تلال التحدي زهور الأمل المجففة حتى لا تذوي، أعبر بحر الزمان على زورق ثقتي بك، أبحر بسفينتي في الحياة وأنت الصاري، وبكل الأطراف المتباعدة بيننا، أجد دائما مساحة للتفاوض معك.

مسلاّت عشق...!!

في سماء وجهي الصاخب ، تموج نظراتي في خصلات حياته البيضاء ، اندلقت روحي بترف بالغ، كان تقويم العشق بيننا طويلا ، لقد نسيت يدي عند نبع عينيه، طرزت رداء قلبه بكلمات حبي ، كان حبي "مُتْرفاً بِالحُسْنِ" كُنت أحيك مسّلات العشق لأجمل هياكل حب موسقة فوق أوتار أحلامي النائمة على وسائد البراءة، يتهجى لغة عيوني الصامتة، كحبيب ينوء بـ قلبه عن أحداق الوصال، هذا هو عشقي، يرشق بلحظه أشعة الشمس الباردة في شتاء يمتهن شجاعة العارفين، كلماته تعتلي جبين الأوراق، ومشاعره كـ تمثال من الشمع، لامعة لكن لا حياة فيها، تطفو مشاعره كـ قطعة من خشب على بحيرة البشر، وبين أضلعي تتفتح زهرة سوسن، بخلجات قطيع من الزهور تتدافع نحو الهواء، والمطر جحظ من عاطفة الغيمة، إذن سوف أتصالح مع الطبيعة، وأنحو منحى آخر لأسأل، هل الحروف تعاني كثيراً مثل أصحابها ؟ تهاوت كلماتي من على صهوة القلم، هي صامتة كالاكتئاب هذا اليوم، يحصل أن تتلبسنا مشاعر باردة كالحزن، موحشة كالفراغ، تكون بداية وجع ليس له نهاية، تحتل طبقات قلوبنا الشفيفة، محض مشاعر مجتمعة طرقت بابي هذا اليوم، وحتى الغد الفَرِح، سوف أغادرني الآن..!!

مُكتظّة باحتياجك..!!

ليلي يشاركني القلق و أشاركه الهموم، لا أوفق غالباً في نوم عميق بل أخطف بضع دقائق لأصحو على القلق، وأنتظر بمرارة غدي، بعد أن أودع ليلي الذي أصبحت لا أحبه، وكأنني مسخ كافكا "غريغوار سامسا" حبيسة لأربعة جدران لا أفارقها إلا بموت الليل، يرتحل وجهي المُعتل مع ضوء نجمة الصبح بلونها الأحمر القاني ليغرق في الأفق، أثق في القدر المُنساب من مكنونات الغيب، أتساءل ترى إلى أي حد ستتطابق صورتي مع نفسي الثائرة، هل أنا أملك نفسي ؟ أم هي التي تملكني؟

حين تخنق نفسي تشوهات البشر تنكسر بشائر أيامي على عتبة الفرح، فـ أردد مع أمل دنقل :

" إنّي لأَفتَحُ عَيني حينَ أَفتَحُها....

عَلى كَثيرٍ وَلَكِن لا أَرى أَحَدا "

حزني رطب نَديّ، لقد تركت شعري ليطول حتى يغطي أحزاني وألمي، هل بيني وبينك جرح لا يبرأ..؟ أم سنفترق عند مصب نهر الحياة..؟؟ أجمع أصدافي الملونة من شاطئ الانتظار، وأقربها من أذني لأستمع لموسيقى البحر و وشوشات الأسماك العاشقة، لعلي أتسلى حتى تأتي يا سيد فرحتي، أيها الغائب الحاضر..مكتظة باحتياجك.

حُب في ثلاث ساعات..!!

يحاصر قلبي صُداع عنيف من حُب، يفتت زواياه، يُحيله إلى نثار من هَشيم أوراق أقحوان، يتناثر شذاه متعديا لُغة الورود، مخاطباً الفراشات، أحيانا تبتلعنا المشاعر كأقراص البندول التي لا نفتأ من استخدامها مع كل وخزة ألم، فنهرع بـ استدراج الحاضر إلى فخ معجزات قلبٌ قصيّ تعود على الصمت، تبدأ دقات عقارب الساعة العد، بوداعة الحملان، وشَراسة الذئاب، تتسابق خطواتها معلنة حُباً وليداً بدأ للتو من اللاشيء من العدم، حب بلا ترتيب مسبق، غير مبعثر ومُرهق بترتيبات البشر ونظرياتهم المستهلكة عن كيف يبدأ الحب، هو بدأ الآن بدون مقدمات، وبدون علامات تنصيص أو ترقيم أو حتى استفهام، كما تسقط قطرة ندى على خد وردة متثائبة في صباح عَاجي، من قلب شابة لم يعتد الاستقرار، ينثر أخباراً بيضاء على صحيفة حياة البشر المملوءة بالتشاؤم والسواد، وبملامح قلقة مملوءة بأسئلة شاردة تنبت كلمات من عشب أخضر ب دهشة مسكونة بحب من ثلاث ساعات..!!

أثق حتى الانسياب..!!

أثق في الحَياة كثيرا، لم يُعلمني أحد كيف أثق، ولكني بإحساسي أثـق بكل ما حولي، فـ الجبال تجاور الأنهـار وتُـصادقها، المحيطـات الهـادرة، لم تتعد على اليابسة بطوفان غادر، الغابات تسكنها الحيوانات ولازالت وفيّة لها بـ سكن وكلأ، الشمس أقسمت أن تظهر لنا كل يوم بـ جديـدها مـن جمال خلاب ودفء، وإشراق، ولم تحنث بقسمها مثل بعـض بنـي البـشر، القمر أخو النجمات الجميلات لم يخنهن أبدا، إذن لماذا لا أثق وأنـا أشـاهد هذه الصور الجميلة في الطبيعة الباسمة المزغردة في عيني وعقلي وروحـي لا أستثني قلبي الضَالع بحب الجمادات أكثر من البشر، فالبـشر يجرحـون مُخمليتي، فأتحول إلى قنفذ أو "ارماديلو" لكي أحمي نفسي البسيطة مـن ألم مـزعج بـارد، أحيانـا أحـس أن مـشاعري المرهفـة شيء انقـرض مثـل الديناصور "تريكس". عندما أقول لصديقاتي أنا حورية قادمة مـن الحلـم وقد تزوجت الوفاء، عنـدها يتـضاحكن، ويتراشـقن النظـرات اسـتهزاء بمشاعري الرقيقة حد السذاجة كما يطلقون عليها، تنتـابني هنيهـات مـن غضب سعيد كعادتي، أتمنى لو أنني أتعرف أكثـر إلى مـشاعرهن المختلفـة وأعرّضُهن لـ" الماندالا" كي أكشف عن حياة العقل اللاواعي لديهن، كم

أتمنى أن أغرس "حربة الحب" في قلوبهن حتى يستشعرن جمالا غاب عنهن في وحل النفوس المقفرة، قلت لهن إني أحبكن كـ كثرة خيباتي في قلوبكن العامرة بالجمود، لم يغضبن مني فهن يعتقدن أنهن سعيدات لأن الحياة وهبتهن القسوة حد الإفراط، فمنهن من لا تحب زوجا قد يكون بنظرها غادراً، ولا طفلا شقيا، يتطاير قلبها معه كلما غاب بعيدا عن نظرها في لعب أو سفر أو حتى نوم، ولا تحب منزلا مسجونة فيه من وجهة نظرها، تجمع حكمتها البيضاء وملامح شخصيتها، وعبق أريج أنفاسها فيه، لم تقرأ قصيدة" البحيرة" لـ ألفونسو دي لامارتن التي كتبها على ضفاف بحيرة بورجيه في جبال السافوي الفرنسية بعد وفاة حبيبته إلفير جولي، قصيدة فيها من التأمل والحب والقسوة شيء كثير، ولقد قابلت من الصديقات عشراً، تفحّصت وجوههن المُغرقة بعدم الوضوح والتجلّي، بحثت بين تقاطيع وجوههن عن قبس نور من صدق وحب لا ينتهي، ورغم فشلي في استنطاق مشاعرهن اليتيمة تجاهي والتي تمنح حبي لهن أجنحة مغايرة عما هو مألوف، إلا أنني لازلت أبحث بين تفاصيلهن عن نور من أمل، ولكن بين حضور وحضور لا يجدي العتب، وبين وصال وانقطاع لا تتدمر بوصلة الوفاء، سوف أرسل برقيات عاجلة من كلمات مليئة بزهر الوفاء إلى قلوبهن الموجوعة، فأنا أتضور جوعا لصداقة

مدهشة، وضوحها كالشمس، وكضياء القمر، أعلم أنه أحيانا تلدنا الحياة بوجع دون أن تقطع حبلها السّري، إلا أنني سوف أهِيل تُـراب الـصمت على روحي، وأدفن قلبي في مقبرة الصدق، منتظرة تلك التي سوف تربت على كتف الحب وتنفض عني تراب صمتي القسري...!!

حزن محتشد بغير رأفة

هاهي عشتار تندب لوعتي في معبد الحزن، ينتابني حزن شفيف هذا اليوم، أسأل نفسي لماذا الحزن فـ ليس لدي ما أخسره في هذه الحياة..!! بعيدا عن فوضى كل شيء، عدت إلى بيتي هذا المساء وأنا أدير ظهري عن عالم موحش، مليء بوحوش بشرية تتقافز على سلم الشهوات والرغبات الإنسانية، لذلك قررت أن أعمل على إعادة هيكلة ذاتي البسيطة التي لا تطلب من هذه الدنيا إلا الصحة والستر، ولكن لماذا أعيد هيكلة ذاتي وأنا التي زرعت فيها التين والأعناب وزهور الربيع، ؟ يرتديني الحزن كثوب أسود أنيق، يأبى أن يفارق محياي، لا أحب الحزن، ولكنه يحب أن يزورني بين الفينة والفينة، أحِس أنني سَحابة وحُزني مَطر ومع أنني لا أحِب الإسراف في الدموع كثيرا، لذلك أجد دورها تشريفياً فقط أُظهرها في المناسبات، إلا أنها تأبى إلا أن تخرج معلنة العصيان على قوانيني، أضحك ودموعي تغالبني... أتأمل فنجان قهوتي المسائي، سوف ألوذ بصمتي كعادتي عندما أحزن فلا يوجد لدي أي درع من كلام يحميني من الألم الذي أحس به، كغابة من الدخان يخنق قلبي، سوف أعزف مقطوعة موسيقية لترقص شفاهي بابتسامة بسيطة، وسوف أختزن ضباب الغيمة لتمطرني بياضاً من فرح. فالحزن مهما نال منا يبقى زائراً وسوف يرحلُ في يومٍ ما.

يا شاسعا حد الشجن..!!

سوف أجعل حروفي تتهاوى كـ النيازك بكل ما فيها من جَمال وحَرارة ودَمار، ترسمنا أصواتنا كما لوحة، عندما نحب أشخاصا فـ الحديث عن تاريخنا الجميل معهم مُضني جداً، ينبض قلبي كل صباح بتذكر من أسعدوني في حياتي لأتوقف قائلة "صباحكم مترع بالسعادة والحب" موقف أتفاوض به مع الحياة ومع سرمدية الأقدار والفراق..!! أرشّ الضَوء على وجه الحياة الذي أحِبه بتجل وَ ودّ، فـ يبتل برحيق من نرفانا الحب، يتناسخ كما الأرواح الخيّرة في محيطي، خلف لحن الحياة ينسّل من بين غابات الوجع ليُدثرني بِعناقه الروحي، هل بُحيرته مليئة بأسماك العتاب؟

ولأنك سكبت في نهر روحي نشوة عذبة هطلت عليّ من شواهقك الباذخة، سوف أخطفك إلى جزيرتي "جزيرة الدهشة" النابته على كفي الأيمن، وكلما اكتمل القمر بدرا يرتجف قلبي كوردة تعلن تفتحها بعد أن ودعها الليل، روحك تسيل منها حبات لوتس، هل يتقن لغة الورد، رغبت أن أطلعه على فكرة إن الحياة ممتعة فيها فرح يصدمنا أحيانا كصدمة الحزن، أعلم أن ملامح الحياة شاحبة ويزداد شحوبها كلما كبرنا ولكن

لابد لنا من تحسس ملمسها المخملي كأوراق الجوري، لا أحب أن يخضبني اليأس بزخرفاته ولونه الأسود، أعلم أن العالم جاف إلا من أخيلة صنعها الحالمون من أمثالي، يحاصر يومي نحيب الوحدة، وضجر يفتت صخور صدري، شحّ مطر أحلامي، جاءتني كلماته كـ عاصفة لا تبقي ولا تذر، طوفان من الدوار أصابني، وعصف لذكرياتٍ اجتاحني، أعتقني من جني تمر الأفكار من نخلات ذاكرة الغربة، لقد وضعني على مقصلة العادات والتقاليد، تحت شجرة صنوبر تضج بالاخضرار كقلبي، قوية كإرادتي، صلبة بصلابتي على مواجهة الحياة، لا يعلم أنه جعلني أجاور من تشبهني، لذلك تركت حروف الألم تهطل علينا كاللعنة الغامضة..!

وتين الوفاء..!!

صباح يكشف عن حُسن الشمس، ليلة البارحة مارست أحلامي الرِدّة على كل ما هو مألوف، انتقلت بي إلى خدر الترقب، تبعد مسافة ألف ابتسامة زاهية في وجه الحياة، كم هي مغرورة أحلامي.!! تتساقط الأفكار من فم عاصفة التوقد، لترتب نفسها بأناقة طارحة سؤالا كلاسيكيا هل نحن فعلا نعرف قيمة الأشياء التي بين أيدينا؟ نذرف آلاف الكلمات لكل شيء ثمن وله قيمة، ولكن من يحدد قيمة الأشياء ؟ أنت أو أنا أو هم؟ أعرف أن الألماس تقابله قيمة نقدية، ولكن الوفاء ماذا نسمي قيمته أو ثمنه؟ تتورد وَجنَة الكلمات بحثاً عن معنى لـ وتين الوفاء وصديقيه المقربين (الحب والصدق) فهما كقطعتي سكر في فم الحياة المُرّ، استعيذ بأوراق الورد الغضة في وجه البؤس.رياض نجد تكتسي بحلة البرودة، مصفّحّة بوجوه عابسة طوال الوقت، تقفز على عتبات الشكوى، أرغب أن أعطي كل وجه يمر بي لوح شوكولاه لعل مزاجه يتغير، فيخلع نظّارة الكآبة اليومية، هل أعطيه نوتيلا أم فيروروشيه؟

ثلاث زهرات تفتحت من شجرة اللوز...!!

أحيانا أدرِجُ أفكاري تحت قائمة وَحيدات الخلية لتتكاثر بالانشطار، وأحايين أخرى تتطاير أفكاري بين مدارات الناس كحبوب لقاح تبحث عن وطن آمن من أوراق لتسقط في قاع محيط الهباء، لذلك أروم عبور المستحيل عبر قاطرات الزمن، لأرسم بُورتريه لروحي التي بدأت تختفي معالمها في عالم رمادي غامق بلون القمر عند مغيبه " كما ادعى "بورخيسي" أنه رجل حروف، سوف أدعي أنني" امرأة الظل "، وسوف أتوحد في أبجدية هيروغليفية حتى تشامبليون سوف يعجز عن فك شفرتها، و أطرح عروض (الباوربوينت) لأنظر أبعد من الشبكات وبطاقات النتائج والمصفوفات من أجل أن أواجه قدرتي على التفكير بقصد مخطط له، حيث أني مؤمنة أن روح التفكير هي قدرة توقظها وتحركها شهية بشرية مكتوبة بخط غير واضح على شهادات ميلادنا، ف أحيانا أرى البشر يعيشون (كضفدعة لافونتين) يتضخمون عنجهية وغباء ثور الحكايات، وذات أخمص انسياب رغبت أن أنفذ من سجف ظلام الأسئلة، لأستعين بقاموس إنساني يفسر لي قيامة من الأسئلة التي تمور من حولي، لأستوعب كنهها، مددت ذراع فكري العاجي،

لأستعرض الإنسان مستدلة بمقولة موباسان:

(الإنسان البشري قصة متسلسلة الحلقات، متصلة المعاني)، ترى الإنسان حينا من الدهر ذاوٍ كعشبة بحرية، وتراه أحايين أخرى شامخا كسنبلة مذهبة، وما بين هاتين المرحلتين هناك عين ثرثارة ترقب تشكل هذا الإنسان وتحولاته. وعلى تخومه تمتزج الأزمنة بلحظات احتضار ترش الماء على وجه الحياة الأسمر، فيهرب الماء بخفة كالزمن الذي لانحس به إلا عندما تتجعد ملامحنا الغضة، إذن هي قصة إنسان يقف على حافة "بركة التمنيات" يرمي بنقوده لتحقيق أمنيته المتمثلة في الخلود الدهري.

افتتَان..!!

إن افتتاني بالمجهول هو ما يحرضني على الكتابة، وفوق دثار أراضي الكلمات تصبح الحكاية إشاعة بعد أن تبلغ سن اليأس على سطور الحياة، أحيانا تتكسر ألوية الأقلام، تحت سنابك خيل الاختلاف، ولكن القلم يزهر كشقيق أحمر في نفوس الأوراق، يكبرنا هذا التوجه بنصف ساعة ضوئية من عمر الفهم، ويضيق مابين عجز ينام على سرير غفلة الجهل، ورغبة في البحث كامنة في خامتها الأولى، فيدفع القلم الجزية عن حبر الاكتشاف، متوشحا بفكرة الهروب من عتمة عدم المعرفة، لتغوص نوارسه في بحر المعرفة بحثا عن أسماك الفائدة، نحتفل أحيانا بالفكرة فرحا مرصوصاً بعناية، أما أنخاب الرتابة فهي متغلغلة بنا حتى آخر نسغ، لتعتلي مدارج الغياب الحاضر كشجرة حور تحتضر، لندق حذوة حصان على باب الإبداع لتطرد أرواح الكسل والرتابة الشريرة. يقول "ايميت فوكس" موعظة الجبل: (ليس هناك صعوبة لايقهرها الحب الكافي، ولا مرض لايشفيه الحب الكافي، ولا باب لا يفتحه الحب الكافي)، ومع أنني لا أفقه شيئا في حياكة الملابس إلا أنني تعلمت حياكة الكلمات.

من أصعب الأمور أن تهاجر الكلمات طلبا لفضاء آخر أكثر اتساعا لها، لتنثر على مسامع الأوراق شيئا مختلفا، مثيرا. عالمٌ من التساؤلات المحظورة، والمواضيع المغلقة، مرتكزة على خاصرة الأفهام الشاسعة حد الأفق، لتنير كهوف العقول المظلمة بالمسلمات، ولأعض على نواجذ الحصار العقلي لأستوضح ما حولي، سوف أرتشف الصبر مع أول دمعة من مداد حبري على الورق، ولن أسمح لأفكاري أن تـ تيبس كأعشاب الصحراء، بل س تهطل كلماتي وأفكاري كـ مطر مدرار على أوراق البشر المنغمسين بملذات دوائر النقد، كنت لا أستطيع أن أعبر عن مشاعري، ولو أردت أن أقول كلمة فيجب أن أجتاز سور الصين العظيم حتى أوصل فكرتي، وأستغرب ممن يتحدث عن نفسه بطلاقة وثقة، أتساءل من أين تأتيه الأفكار والمصطلحات، استوقفني شعار مشهور لـ (والت ديزني) يلخص انجازات حياته :" ما لا تستطع أن تحلم به تستطيع تنفيذه" هذا الشعار ملأ سلة عقلي بعديد من الأفكار، تقاطعت حدودي العقلية مع بعضها مولدة تساؤلات أربكتني، هل أنا قصة انتهت أحداثها؟ أنا تحت دائرة العاطلين عن الكلام، فأنا لا أساعد على توليد الناتج القومي الإجمالي لأصوات البشر، بعد هذه التساؤلات المرعبة قررت أن أعمل عملية تنمية لعقلي، فهي تبدأ بتوضيح تشريحي لمكان

براعاتي المتعددة في دماغي، تأملت، نقبت، وبعدها عرفت الأشياء التي أتمتع بها، ولكن عليّ الآن أن أحدد مقدار النجاح الذي أريده في حياتي..! هل لا بد أن أطبق بعض المنطق الإحصائي حتى أحدد ما أريد ؟ لا أرغب أن أكون شجرة وحيدة في غابات النجاح، لذلك لا بد أن أتروى في اختياراتي، فالوقوع تحت ضغط القرار بشكل عشوائي لا منهجي يصيب الأفكار والقدرات بالإجهاض المبكر، والوسيلة الأهم لتحقيق الاستقرار من أجل اتخاذ القرار هو تحديث و تطوير الأفكار، هذا يمنحنا استراتيجية تبصرنا بما يجب أن نكون عليه، بمعنى أن تدفع نفسك إلى حد يفوق تصورك لذاتك.

ينابيع الفراشات...!!

لن أتشدق بفضائل الفارابي ولا حِكم سنقور، ولكني أتساءل إلى أي مدى نحن متحضرون عقليا أو مدى استعدادنا للتحضر؟ ما بال قيمنا انكسرت ولم يحل مكانها قيم أخرى أكثر شباباً وحكمة؟ هل نحن ننزل بمستوى عقولنا إلى ما أسميه "الدعاية العقلية"؟ سأتخطى فضائل الفارابي، ووحشية فرانكشتاين لأطرح تساؤلاً: هل كون الإنسان متحضراً معناه أنه أفضل من الآخرين؟ بالطبع لا من وجهة نظري، هذا معناه أنه يحتاج إلى صيغ مختلفة للعلاقات، وأدوات مختلفة للتعامل معه، لدى قلبي مجموعة أوراق تحوي نصوصاً للحياة، مكتوب في كل ضلع من ضلوعي طلاسم غير مفهومة عن الحب، والعاطفة، والمشاعر المتناقضة، والمتكاثرة كـ بكتيريا تملأ شقوق قلبي، تراقص أبجدية جسدي المصلوب على شفا حفر أرواح متطايرة تبحث مثلي عن مأوى، فهي تعبت من الدوران والتنقل بين خطوط طول الأمل ودوائر عرض السعادة، حين لا تكون هنا تعلن نفسي الحداد على الفرح، تصمت العصافير عن الزقزقة، وتتفرق الفراشات، يهرب شعاع الشمس من غرفتي، وينسل الضياء خارج حدودي، تنكمش الزهور داخل تويجاتها، وتتوقف الشلالات عن

البوح للسهول، يبكي العالم بصوت خافت مسكون بتنهيدات برهافة قلب أم تتسول الحب، ولأني أفيض بمشاعر مبالغ فيها، تخنق القمر وتغضب قوس قزح روحي المطل بين رشات المطر، يذوب جليد عاطفتي تحت شمس الغياب، فيفيض طوفان قلبي ألما، فأهرب إلى البعيد لأترك مساحة بيننا لأحلق صوب نوره الآسر، وعيناه المشمستان طيبة، أقرر أن ألحق ركب الخيال لأتفرج على الحياة من علو، ليصبح كل يوم أستقبله حدثاً جميلاً، لأتحول إلى فراشة وأنضم لصديقاتي الفراشات لنرقص حول ينابيع الفراش لنُسعد العاشقين، في ابريل شهر مولدي سوف أتحول إلى فراشة بيضاء.

ملاحظة: ينابيع الفراش هي قصة أسطورية صينية لعاشقين هربا من الظلم فتحولا إلى فراشتين.

طواحين.. بلا دونكيشوت...!!

حكايتي مع فصول السنة حكاية تماس بين أكثر من عاشقين، أنا كائن يعشق التغير، يُتعسني في الغالب الروتين الذي لا ينقطع كطريق سَريع، أحيانا أحس أن الشهور تتواطأ ضدي عنوة، أصارع أشياء لا تشبه طواحين دونكيشوت، أصارع أفكاري ومعتقداتي، وأسئلة تائهة ما بين شواطئ تستقبل مداً وجزراً الأجوبة و الأسئلة الضاجة بالتأمل تخلق أسئلة لا تنتهي دوائرها ، مساحة بيضاء للتأمل والأمل، لكن..ماذا عن الأجوبة النهائية؟ ما نفع الأشياء إذا جاءت في غير وقتها ؟

وهل فعلا الهموم تأتي مجتمعة ومتوالية كما يقولون؟

هل حدث لك أن ابتسم أحدهم في وجهك وهو لا يضمر لك الخير أبدا ؟ تحدث معي كثيرا..وأتساءل لماذا ؟

لقد غِبتُ عن نفسي كثيرا فوضعت لها، جدولا زمنيا لأتمتع بوجودها في هذه الحياة، في حدود رؤيا منطقية بلا تصّنع ولا تكلف، لكي لا يغرق الزمن داخل محاجر عيوني فـ يَشيخ قلبي، وتُسجَن مشَاعري إلى ما لا نهاية، آه من البشر، يضيق عالمهم بتساؤلاتي الوردية، فـ يقيمون على حواف أحلامي معسكراتٌ لـ تجميع الدّموعِ والألم، تخرج الكلمات

ك سيل عارم من البوح يكسر سدود المحدودية، وكـ طيور الفـلا، أحـوم حول جنائن ورد الحروف.

تموز ماذا بعد...!!

أحيانا يسافر صوتي إلى بلاد قلوب بعيدة ليتنفس لغة التواصل فـ تورق زَهَرات الأمل، وتَنشَطِر مِن روحي فَراشَات البوح اليتيم، يتَفتق عنها تساؤلات تزاوج في ثَغرِ العطاء كَلِمَات مِن فِضة تَشرنَقت في بداية العُمر، تستشرف مستقبل الكلمات في رؤية تضاهي حكمة شيوخ القبيلة، أحيانا أحس أنني مثل "الفارد" أو النجم الوحيد..لا يوجد من هو بقربي، فتحاول كلماتي، أن تَصعَدُ سُلما مِن وَرِد الجُلّنار لتطاول السماء، فتهبني قوة تدفعني لخوض غمار السنين، إلا أن هذه السنة كانت مختلفة بأيارها وتموزها...!! ما بال تَموز مُختلفٌ هذه السَنة...

تتعسني ذكرياته، روح تَموز تتصل بخيط من وجع، متكئ على نسيج الفراق، تموز مَا لون الحُزن.. هل هو أصفَر كوريقات الخَريف، أم هو بلون الدُخان؟

كنتَ دائِما رَشِيقا أعانقك كَما أعانق أمي، على أنغام النَهاوند الشَفيفة، كنتُ امشي مُتباهية برقّتي، كزَهرة تَموز زنبق الماء، وبِكل ما أحمِله من ضَجيج صَامت، فإذا بي أتعثر بأيامك الجارِحَة حد السكين لتغرسها كَوشم في قلبي؟

لا شيء أسوأ..من صمت موجع يحمل عته الحياة، يغيب الفرح بِسَخاء عن نَاظري ، و مِثلما كان "فيثاغورس" يُنصِت إلىَ ذَبذبَاتِ الكَون.. ها أنَا أنْصِت لذبذبات كونِ تموز، لتصبح الأيام طويلة جداً كأرجوحة معلقة بين مجرتين متباعدتين، وك جَاذبية أخرى لم يَكتَشِفها نيوتن يئست الأيام من عبثية البشر، انتقلت بي من طور الغروب الذي يرتق النور إلى ظلام ليل تعود حمل حقائب الحزن... ما بال تموز هذه السنة..؟

أتعس من كافكا...!!

جَرَحَ هيبة مشاعري عندما أطلق ضِحكته بصوتِه الخشن المُتزحلق على اللامبالاة، فأصبَحت اللحظة "لحظة رقطاء" كما يُسميها الايرلنديون عندما تختلط صورة شخص مع صورة شُجيرة صغيرة بسبب عدم وضوح الرؤيا، فاختلطت صورة صوته مع شُجيرة مشاعري بضبابية متناهية، فلم أعد أميز بين مشاعري وصوتُه المجلجل. لقد جثم هو على أحلامي كما "شلل النوم" رافضا أن يُعتقَني، وآثارُ أقدام الفرح غيبها موج بحر ذكرياتي الشَفيفة، أتناثر كحبات سكر فأذوب بفنجان قهوة حُبِه المُرة لأمتزج مع ماء الصبر عليه. ما أتعسني عندما تشتاق روحي إلى الحرية معلنة حالة اعتصام في عليائها لتعبر روح الأسئلة نحو ضفة الأجوبة، فتحاول مشاعري استعراض نفسها بملابس الاستعراض العسكري وتضع نجماتها على أكتاف قلبه، فأصبِح "أتعس من كافكا" وتتملكني رغبة بشق وهج قمر الأسئلة لأفتح نافذة الغموض المواربة. ربما أستطيع ذات يوم أن أصبح حمقاء لأحارب طواحين هواء أهوائي مثل "دون كيخوته" وأكثف صبري كثافة رمال الربع الخالي، وأستسلم للتعاسة كمارد ارتد إلى قمقمه ليواجه مصيره بالعيش داخل إبريق الشقاء.

أنا اللاشيء..!!

هي أنا اللاشيء، الفراغ المحدق في الظلمة، أقرأ ما بين سطور الوحدة، وتفاصيل ليل ثمل بالفضول، أدني مني كل ما يسعدني، وأهاب الملل والتكرار، كشقيق أحمر هي أفكاري، تزهر في فصل الاكتئاب، أسميتني اللاشيء.... لأنني لا أمتلك من أدوات الحياة إلا التحديق في وجوه الرياح العاصفة، اللاشيء هو أنا كبرت حتى وصلت لسن عدم الاكتراث، بسيل من سجايا الغفلة المهذبة نذرت قلبي قربانا للموت، والأيام تسير برشاقة الغزال، وبلادة سلحفاة معمّرة أعياها المشي طويلا على ساحل الوجع، وعبر هضبة من خيال ضاج بالغرابة، أزرع ضجيج التذمر، وأرشق بلحظي كل ماحولي، غالبا لا أجد تفسيرا للحياة غير الحياة نفسها. اعتدت حضورها البعيد، وقسوتها الباردة كالصقيع، ووقارها الذي هجرته.

اللاشيء... هي أنا أغيب عني أكثر من فترة رفة عين، أجافيني بمكر ثعلب، أقدّ ثوب الوحدة، وأتربص بالزمن، غيرت اسمي إلى اللاشيء... هل هناك من يعارضني؟؟

يُحكى أن...!!

يُحكَى أنّ... هناك مشاعر نافرة، تأبى الانصياع للواقع، فتمردت على ما هو مألوف طلبا لفضيلتها المفقودة، انكسرت الكلمات على قارعة طريق الحكاية التي تأبى إلا أن تعيش في غفوتها وغفلتها متوارية عن أنظار اللغة، باحثة عن فضاء يحوي قنوطها القلِق المنفعل، تغفو الأفكار تحت شجرة "أكاسيا" تستجير بداخلها ترتل أنغامها الفطرية.

يُحكَى أنّ... الخليقة بدأت بـ اثنين "ذكر، أنثى" يعيشان بتوافق متوازٍ، يدوران حول بعضهما كشمس وقمر، يحملان صورا فوتوغرافية عددها ستة، تحكي قصة الآخر منذ أن كان صفرا، ليصلا إلى حالة تتلاشى فيها، من حولهما كل مظاهر الحياة، فتتحد روحاهما في نرفانا سماوية عالية.

يحكى أن... روحا تسامت فوق كل شيء، حتى وصلت إلى سماء اجتمع فيها كل ألوان الحب، فغرقت بالألوان.

يحكى أن...شاعراً قدم هجاء حارّاً للحياة، فغضبت عليه وزلزلت الأرض من تحت أقدامه، ولكنه لازال في غيّه، يهجو ويهجو...فطبيعته العنيدة تفوقت على غضب الطبيعة.

يُحكَى أنّ... حبا غير متكافئ بدأ وتصاعد دثّر الحبيبة بكنزة بيضاء كالياسمين، رذّ عليها قطرات من ليمون العشق، وتحت رواق الحب قال لها: عيناك تبشران بقدوم الربيع، ثم تركها ورحل، كانت تقرأ في عينيه ما اختبأ من طفولته، ثم سرقت ضحكة نقية باسترسال، واستسلمت لوجع الزمن، محتضنة حلماً ناقصاً...!!

وَجَعٌ آيل للفَناءْ..!!

قبل أن تَلِج روحي في هذيانها، أخبَرتُ كلماتي أنه حان وقت نسيان الحزن، لنتعاهد على تجديد فرح أوشك أن يحين نسيانه، مُدَثر بسعادة رائقة لها شكل هدوء ملامح ممتلئة بالرضى. موقفي من الألم والحزن ترفضه أعراف قبائل عقلي الساكنة في بيداء التسامح، لنسير على خطى الطمأنينة التي تحدوها دقائق حروف أغاني المساء. لنفرغ أرواحنا من تراكم وَجع آيل للفناء، لتُطِلُ يا سيد الفرح على وقتي، على عقلي، على صبري، مدججا بأسئلة البشر التائهة بين خريف وربيع، وبطبيعتنا الموغلة بإثبات الوجود نستقي حضورنا من طيف يحمل ألواناً سبعة، كاختلاف أرواحنا، وألوان بشرتنا وضمائرنا المثقلة بخطايا ورزايا وآثام تعربد داخل كل إنسان فينا لتقضي على وتين بياض القلوب، بعض الأشياء يجب وأدها حتى لا تورث الملل. يمتلئ حيز قلبي بضجيج الفراغ وهدوء صوت الأسئلة، و لعقلي المعتمل صمت الحياة المتأججة تناقض مُربك، تزور عقلي ذكرى البعد يرشح تفكيري بصور مختلفة : مواعيد غافلة، بشر متعبين، أماكن شبه خالية، ذكريات مرصوصة بعناية، صمت يلف روحي إلا من موسيقى مناسبة كالسراب، عفوا لقد أهدرت كثيراً من

عقلي بتفكيري في الذكرى البعيدة، فـ الذكرى كقنديل البحر يعيش بين طبقتين من ماء وماء، وكـ الأحاجي لم يزل في الوقت متسع لحلها، فقد آنست للذكرى صيفاً ليلكياً، يَرتِجُ عقلي بـ مفتاح تفاصيل صور عارية إلا من لون أسود وأبيض، يلبس أفكاري حلل من قصائد البُعد هل ننطلق نحو الفناء..؟؟

شَعَرِي وياسَمينة الكبرياء...!!

أقف على شرفة البياض، مع أحلامي المهاجرة نحو الأفق، وشوق هادر آتٍ من أعماق مجاهيل القلب، كل المشاعر مغادرة اليّ، مصيخة السمع لي، انتظر اللحظات بحرارة شمس الحب، ينعقد حلمي على كثير من فضائل البشر، ومشاعري بنكهة البراءة المفقودة، نبتت سوسنة بين أصابعي لتبوح لي بسعادتها، وحدهما الألم والسعادة هما من يجبرنا على الهذيان ونحن في يقظة، فتفيض مشاعرنا بالهدوء وتتزن النفس المهتزة من صليل جرس المشاعر برمادها وبياضها، أحيانا أتبلل بالخجل وأنعطف مثل وردتي لأتوارى عن الضجيج، وأحايين أخرى أفرغ خيالاتي في بيوت الود المتموجة بزهور من سعادة ضانة بنفسها عن الحياة، لعل نفسي المحّملة (بشقاوة) الأطفال تغفر لي فوضويتي العامرة بموائد الربيع، سوف اسكبني ها هنا:

مشاعري الحبلى بالحب روضة خضراء، ليس لها مدى كـ ياسمينة ممتدة على جدار بيتنا، وترفض النزول عاشقة للارتفاعات بكبرياء لذيذ، لعلها غاضبة منا ولا ترغب الالتفات لنا، قد نكون أهملناها يوما، لم نكترث لـ مشاعرها لم نحن عليها بلمس أوراقها هل ستتهاوى يوما ما،

أعلنت شعار الغفران، وتضامنا معها وتكفيرا لذنبي أقسمت أن لا أقصّ شعري ليطول مثل هذه الياسمينة ونجاور السماء، لنسترسل مع الطبيعة بفطرة في طريقها للاندثار، ننسج مكنونا من أمل، وقلوباً لا تشبه قلوب البشر، ولنتوحد في مشهد مسفوح على بحيرة الحياة الجميلة.

ثلاجة الموتى..!!

لماذا عندما نقترب من الاعتراف بالجميل لكل ما هو حَولنا نَكفّ عن الحديث كالعاصفة التي كفت عن الدوران؟ نحن ممتنون للطبيعة، لبعضنا، ولكل ذرة في الكون، هل نستحضر صنفاً جديداً لعلاقتنا بالأشياء؟ أنت، أنا، هم، غالباً ما نغيب عن المسرّات ونترجل من على صهوة مباهج إنسانيتنا، هل الإغراق بالسطحية، والتعود على الموجودات هو الذي يجعلها كحق مكتسب لنا دون التفكير بها ؟ ليتنا نتعامل مع كل ما حولنا بطريقة المد والجزر، المد يسطر روحه وهيمنته وقدرته، الجزر يعيش لحظاته مراقبا المد متحديا له، هما يعيشان بروح الاختلاف التي تولد تساؤل حب، امتنان، إثارة، وعدم التوقف عن الحركة، لأنه أسوأ مصير ينتظرنا هو انتظار ذبولنا، كـ وردة تراقب أوراقها وهي في طريقها للذبول المحتوم، بخطوات خفيفة راقصة وقفت على شرفات دفء قلوب متعبة وبسيطة، أناس أشعر بهم ويشعرون بي، يعجبني عالمهم الأبيض النقي، وكأنهم يسبحون في بحيرة زرقاء مكسّوة زنابق بيضاء كبياض سريرتهم، أتأمل في وجوههم الموفورة بـ حُسن الرِضا، ولكنهم غالبا ما تجتاحهم أزمة من ربو اجتماعي، تهدد قلوبهم المكسوة بأعشاب القناعة

المخُضّرة، وتنصب لهم مشنقة على الجدول الأخلاقي، وكأنهم وباء فتّاك.
مَا بال بعض البشر مُغرَقون بتهميش الآخر، أين هي النفس الصديقة غير المتشنجة في تعاملها مع البشر المختلفين، وكأنهم عبء يثقل كاهل الوجود بوجودهم، وكالعصارة التي ترسبت في قاع الذهن الموبوء بموازين وقناعات متخلفة منذ زمن القاطرة البخارية، لماذا لا نتعامل مع بعضنا باسترخاء عفوي بعيدا عن التشنج والعنجهية غير المبررة، قواميسنا العقلية بحاجة إلى غربلة وتجديد، الزمن يجذبنا للأمام، يغيرنا بغفلة منا ولكن عقولنا الواعية تستهجن أن تتنازل عن كبريائها المرسوم على لوحة المجتمع والمظهر الاجتماعي اللامع حد الصقل، لن أطارد إجابات، بل سوف أطارد عقليات تُفرق بين بني البشر المتساوين في الرغبات والنزعات والتفكير ولكن قسطهم من متاع الدنيا قليل، لماذا لا نستطيع الوقوف في وجه هذا الربو الاجتماعي المثير للاشمئزاز؟هل نحتاج للقاح اجتماعي؟ فالإنسان من شمال الأرض حتى جنوبها هو الإنسان "فكرته واحدة "، إذن لماذا نقسو على بعضنا ونتجاهل صوت الحياة فينا ؟ لـ نُيمّم وجوهنا شطر الفطرة الإنسانية، لنستنشق أكسجين الحياة النقي بعيدا عن النظر لبعضنا بدونية، وبعيدا عن الأوراق والكتابة والحروف، لنمارس الإنسانية بكل ما فيها من عفوية فطرية، وتفاصيل جميلة ولفتات بريئة

لتشرح لنا الإنسان كما هو بلا أقنعة، ولنبحر في الآخر ونكتشفه كما هو، فلنا القلوب نفسها، ولون دم واحد، وقد تكون قلوب من ننظر لهم بدونية لأسباب ظاهرية أكثر حرارة وعاطفة من قلوبنا الباردة كثلاجة الموتى.

كرمة عنب..!!

في لحظات ضجيج بشري، تفاجئنا مشاعرنا التي تعودنا أن لا نلتقي بها إلا في أوقات المغادرة بجاهزيتها بقبول أو رفض أي شيء تحت سنابك حياة القلوب، قد نألف مشاعرنا كالقطة المدللة التي تعيش معنا، ولكننا في الحقيقة لا نعلم ما هو لون عينيها، ألفنا تواجدها فقط، لم نفكر بتفاصيلها..!!

لماذا نترك مشاعرنا تتدلى أوراقها من سقف أرواحنا، مثل كرمة عنب تنام أوراقها على خشب صنوبر منتظرة القطف، ونحن نرقبها وهي تنمو تخضر، تزدهر، تصفر، وتسقط.أتنهد مشاعري كغصة عاشقة متيّمة، وأتركها تركض في مساحات حد أفق الروح الأرجواني، هذه المشاعر غير المستقرة الشبيهة بحياة الغجر، هل مجدها الاستقرار؟ أم أن رذاذ عبيرها من قوارير النسيان ؟ يخيل لي أن بعض المشاعر تحمل صفة "الساحرة" التي تتلون كيفما تشاء ولمن تشاء، لذلك نرغب في عقاب ذواتنا بتسلقنا جبل "سيزيف". عندما تتصارع قوانا الداخلية، وتختلط الرموز تتداعي مشاعرنا بوهن، وتصبح جاهزة لكل من يرغب التقاطها من قارعة الطريق. إذن هي رغبتنا الماكرة الدفينة في عدم تحمل مسؤولية مشاعرنا

المعتكفة في محراب قلوبنا..!! هل نحن فعلا نبيع مشاعرنا دون تثمينها لمجرد التخلص منها؟؟

ميتاليكا...!!

تنساب موسيقى "ميتاليكا" " Nothing Else Matters " الخفيفة من كمبيوتري المحمول مع صوت إيقاع الكيبورد، والأفكار تنهال عليّ مجتمعة، كاجتماع دولي انعقد لعمل هدنة وفض صراع وتقرير مصير، هذه الأفكار أضافت إلى نفسي رغبة طافحة جديدة لم أسبرها، فبعض الأفكار أحيانا تكون كأبناء السابلة، على هامش دفاتر قلبي، تهادت فكرة غنوج ذات دل عن جينات الحب ؟ فتساءلت :

هل ثمة جينة حب تورّث ؟ أفعمت نفسي بتساؤلات من البنفسج والنرجس، وزهر البرتقال، ومنثور من الزنبق والفل وأنا أستنشق نسيم صباح الرياض الجميل، أحاطتني الأفكار الكثيرة إحاطة الهالة بالقمر، تضرج وجهي بحمرة الخجل من أفكاري غير المنظمة كالعادة، ونفذ سؤال كالسهم من أعماق عقلي لا يقل غرابة عن صديقه الأول وهو "فرحة العشق" عندما يفرح الإنسان فرحة شديدة يقال كفرحة عاشق وهل بالضرورة حزن العاشق، وكأنة يعيش في مملكة غيلان الألم ومدينة أقزام البؤس، ومستودع مملوء بـ ذخائر عظيمة من شجن ولوعة وعاطفة مبتورة، لعلي أبعثر أكواماً من رمل التساؤلات، واغرز يدي في رمال عقلي

الذهبية الدافئة المشبعة ضربا بأشعة شمس الآخرين التي تخنق قمر التساؤلات وتغضب نجمات العقل، ماذا أفعل بفكرتي المدللة ؟

مثل حيرة هاملت...!!

هل الحيرة أصبحت عاملاً مشتركاً بين البشر؟ بعيدا عن التشنج الإنساني، نتربع غالبا على قمة جبل المتطلبات الإنسانية، نتأرجح بين الرفض والقبول، بالطبع، لابد أن نتجاوز تأنيث الحيرة أو تذكيرها إلى أفق الإنسانية، أعي وخز الرغبات الإنسانية التي لا تنفك من التململ والتمني، ولكننا محتارون بين بلورة قناعاتنا بما نرغب فعليا وبين ما هو موجود، وعاجزون عن احتضان المتناقضات التي تحويها جدران بشريتنا المُتقِدَة غَرابة، قد نُسقِط شعورنا بالحيرة على شي اسمه "النَحس" مثل نحس "جاكينتا وارينجا" في رواية "Cross Devil On The" للكاتب الافريقي "Thiongo Ngugi Wa" حيث أن وارينجا تجر وراءها قطار النحس حيثما حلت، أو قد نُفصّل لنا ثوبا فضفاضاً من الأعذار لنداري سوءة حيرتنا...! لماذا دائما نحن محتارون بيننا وبيننا...؟ ونخبئ شفرات كتابية لقلوبنا التي تضج بالتساؤلات المحظورة، قد يكون هناك قصور في أرواحنا المتهمة أمام قاضي حيرتنا البشرية، لواحظنا تبتسم لمشاعرنا التي نؤججها بلمس النظر محصورين داخل زنازين صندوق الإنسان الملون مع الأشغال القلبية الشاقة المؤبدة.

روبنسون كروز..!!

أغوتني حكاية روبنسون كروز في صغري، عشقتها كالأحلام، علمتني أن أضفر خيوط الكسل للبحث عن أفكار ذكية أطور بها ذاتي البليدة، كان كروز يمارس إنسانيته بإتقان هادئ، ومرونة، استطاع أن يتغلب على الظروف التي وقع فيها، وحيث أن الرجل محارب بطبعه، ويعشق الفتوحات ويستميت في الإخضاع، فقد أباد كروز أعشاب الملل الضارة، وزحف نحو جذور إنسانيته وفطرته، مارس فضيلة العمل تلو العمل، فكر بكل شيء حوله من أجل أن يتعامل بانسجام مع بيئته الجديدة، واستثمر نفسه وطور عمله، في جزيرته المعزولة عن العالم حد الاختناق، ولنقل إنه استثمر بشريته بشكل رائع، استخدم كل ما حوله ببدائية ولكنه نجح في أن يعيش حيث أن قدرته الإنتاجية كانت عالية جدا، في حين أنه لم تكن هناك آلات أو معدات يعتمد عليها، وهي قصة بطولة لرجل عاش معزولا، ولكنة استثمر نفسه بالتعلم الذاتي والعمل، يا ترى ماذا ينقصنا لنصبح مثل كروز؟ ربما العزلة في جزيرة ؟

وأغلقت مدينتي الفاضلة أبوابها...!!

سأغرسني كالبذرة على أرض الورق، لأعلّق فراديس كلماتي، أرغب أن أحتضن الكون كما تحتضن الشجرة أوراقها، في عينيّ تركض عصابات من مافيا الفرح، مزغردة روحي، أغبط نفسي على هذا الهدوء الذي يكلل أطرافي، عندما ت تلبسني هذه الفانتازيا من المشاعر الفاضحة التي تزاحم كل جوارحي، أحيانا أطلق عليها مسمى " مشاعر شجاعة " فهي تظهر في أي مكان فأمزق خرائط المكان والزمان، وأسير تتقاذفني مشاعري الجميلة "السعيدة" حتى الآن لا أعرف لماذا أصاب بهذه المشاعر، ولكني أتساهل معها وأدعها تستلم دفّتي، قد تكون "جرعة مهدئة" من الأمان وسرّ القوة الخفية التي أتمتع بها، ألوذ بفرح غامر يشتت من هم حولي، أكون غير مفهومة، وكأنني أتفرج على نفسي من خلال البوم صوري، أكلمها، أناجيها، أعقد عليها فضائل الحياة، لا أكلم فساتيني الحمراء، والزرقاء، والبيضاء، وأفقد التفاهم مع مرآتي وعطوري ومكياجي، أتجاهلها، أقاطع مرآتي فلا أرغب أن أمارس معها غنجا طفوليا عقيما، لا أعلم ولا أرغب في معرفة سبب مشاعري الطافحة بالفرح، "لعله خير"، ولكن عينيّ تصبحان بلون العسل ونفسي تتلون بلون الشفق العذب،

وأصبح أكثر نقاء من ذي قبل، وأرغب أن أضم بين كفيّ زهور العالم كلها، أعلم أن المشاعر تراق، لا تقال، والقلوب عندما تفلس من الهموم تصبح أجمل وتأخذ شكل ثمرة كمثرى الفرح وهي تتدلى من أغصان شجرة السعد، لا أعيش فوضى الحيرة، ولا تأكلني دبابير الألم، وأتحرر من وطأة القلق. أزدري كل أعضاء نادي الحب، من قيس بن الملوح، وكثيّر عزّة، وجميل بثينة، فـ مشاعري سافرت لوحدها إلى جزيرة الحنان، تنام أحلامي كـ طفل على ساعديّ الوقت، لا أشعر به، ولا أقيم وزنا أو حساباً لأي شيء مثل الكبار..!!

طفلة إنده...!!

كانت فكرة رواية "مومو" لميخائيل انده عميد أدب الطفل الألماني، تقع بين طبقتين من حقيقة أهملها البشر، أو تعاملوا معها باستخفاف، الأولى هي أثر الزمن في حياة الإنسان بكل ما فيه من تناقضات، وكيف يمكن الاستفادة منه لكسب ودّ السعادة، والثانية هي فن الاستماع الذي أجادته طفلة إنده "مومو" في الرواية، مكّنت هذه المهارة تلك الطفلة الاستثنائية من أن تزيل العبث الذي يحدث بين الأشخاص المتخاصمين تحت لواء الاختلاف، وبالمقابل كان الفنان الساخر النمساوي كارل كراوس يتبع مبدأ الصمت البليغ قد يكون انحرافاً مزلزلاً في أرض الطبيعة الإنسانية العاشقة للثرثرة، إلا أنه علاج فعّال لكثير من الجروح البشرية، إن ما يميز "مومو" هو أنها طفلة لا تشبه الأطفال فهي من الأشخاص المميزين الذين لا يشبهون الأكثرية، أصبحت كما الريح المواتية التي توجه الشراع، لقد غمست نفسها في الحقائق ووافقت مقولة "بارانوف" (أغمس رأسك في الحقيقة تقلع عن الكذب). لم تلبس ثوب القداسة، أي لم تسخط على نفسها لتصبح أفضل مما هي عليه، بل كانت صادقة كقطرة ندى، لعبت المواقف في حياة مومو دور الأم تعلمت من

كل ما يمر بها، كانت تعيش سعادة لا أحد يسيطر عليها، وكأنها وضعت حدا لتناقضات المحيطين بها، إن فن الاستماع يهدئ أرواحا علاها ذعر الاختلاف فيزيل تعقيدات الجفاء بإيقاع لا ينقطع، واضعا حدا لنوبات متغلغلة داخلنا حد الضجر، ويبدد أحلام مزعجة تأتينا عن الآخر ذلك الأخطبوط صاحب الأذرع الثمانية الذي يخدش وجوه أرواحنا بانسيابية أصابع عازف بيانو، إذن ما بداخلنا يمكن تبديده وتغييره متى ما أتقنا الاستماع إلى أنفسنا والى الآخر بحيادية غنية بالوقت.

مفردات قليلة الفهم..!!

الحب هو وحدة التحليل في الفراغ الإنساني، كما الفرد هو وحدة التحليل في الاقتصاد.

- أحيانا أرغب في البحث عن بدائل لترتيب روحي حسب أهميتها من أجل بناء نموذج لسلوكي الإنساني، لأني لا أرغب بمجارات البشر، فخط الإنتاج السلوكي لدي شيء خلاق و مبتكر.

* غالبا ما أحصر نفسي في "باراديم" قاسي يتعلق بمجموع مفاهيمي تجاه ذاتي البسيطة ورؤاي الغبية، أي أن طريقتي في إدراك العالم قاصرة جدا جدا، ولا زلت أعاني من قصوري، ومن قصور نظرة الآخر تجاهي.

* كنت أنتهج سياسة جميلة مع نفسي عرفتها بعقلي البسيط ولكن لم يكن لها مسمى عندي أو مصطلح، وكان دافعي هو التغيير فأنا أعشق التغيير ولا أحب أن أتقادم، أو أكون موضوعاً مطروقاً على مائدة نقاش الكائنات، وفي خضم معمعتي واحتفائي بسرّي الصغير قرأت ذات مرة عن "تكنولوجيا المصير" بدّل قيمك وبذا تتغير حياتك، آها... هذا هو سرّي..لم يعد سرّا فقد افتضَحَ أمري، وليس

أمامي سوى أن أهرب من نفسي وكأنني أفتح رسالة من مارك توين مكتوب فيها "أهرب فقد افتضح الأمر".

* كنت أرغب بتحديث مضامين كثيرة عن المرأة، وقررت أن أكسر محراب الخوف وأتعامل بطريقة "اضرب واهرب" كمقاومة شعبية ضد أي رجل يعتقد نفسه إنه "فكرة" وعلى خطى ماوتسي تونغ "تقاتلون على طريقتكم ونقاتل على طريقتنا" متسلحة بأدوات لا يعرفها الرجل وسوف أحدث شكلاً من أشكال الفوضى "هوليغانيون". مشجعوا كرة القدم، وفي خضم حماسي.. أقبل عليّ رجل وسيم وقف على أعتاب قلبي المصفّر، فرمقني بابتسامة تأسر أي أنثى وانثنى فقال لي :وأنا أغالب مصارعة عقلي مع قلبي ووسامته المتوحشة التي كادت أن تنقضّ عليّ، وقبل أن يكمل حديثة رميت علية (موليتا) لإهاجته، ونجحت خطتي بإثارة حمقه وغبائه فانطلقت وسامته من جسده كالسهم نحو السماء البعيد حيث لا أراها، فاتضحت الرؤية أمامي وخرج زيف الحياة بخروج تلك الوسامة.

عَقلٌ مَختُومٌ بِالشَمعِ الأحمَر....!!

في ضيافة عقل يأبى الانصياع، تمددت كلماتي تحت لحد التساؤل، لماذا تُكتَبُ المرأة في عَالِنا العَربي بِحبر سِري ؟ كيف نتلمس الأفق النفسي لوضع المرأة العربية وعقلها المصادر بالشمع الأحمر، إن التغيير الاجتماعي هو محصلة النمو الفكري للإنسان كما يصفه "أوجست كونت " عالم الاجتماع الفرنسي، هذا النمو تدرج في مراحل بدءاً من أساليب الفكر اللاهوتي إلى الأسلوب الميتافيزيقي، إلى الأسلوب الوضعي للفكر الذي يمثله العلم الحديث، وهذا التقدم الفكري يصاحبه نمو أخلاقي، ويتبع ذلك إحداث تغييرات في النظم الاجتماعية، إذن التغيير المنشود يسبقه أساس فلسفي وأخلاقي، ومن وجهة النظر المادية فالقوى الاقتصادية هي الأساس المحوري في إحداث التغيير، والدور الذي يلعبه الأفراد في إحداث التغيير يتوقف على السمات الشخصية للفرد كتأثير القيادات والزعامات والمفكرين والساسة في قيادة وتوجه المجتمع، والمرأة هي أحد أقطاب التغيير وتكبيل دورها تحت مسميات عقيمة بدافع الخوف عليها، أو قد يكون الخوف منها هو الحجر الذي يقف في طريق التغيير، إن تأسيس عقولنا على مسألة الوعي بنا وباحتياجاتنا وبدور كل واحد فينا

وعدم تهميش جنس على حساب الآخر هو ما يضمن لنا عدم التشظي داخل مجتمع حوّل كل الأشياء فيه إلى تمائم تحمي الإنسان بداخله، لذلك يحتاج هذا المجتمع إلى صدمة لكل شيء مدجّن فيه، من أجل إعادة المساءلة في كل ما سلمنا به كواقع يقوّضنا، إن واقع المرأة في عالمنا العربي موبوء بأمراض مستعصية، إلا أن الحل للشفاء من هذه الأمراض هو سن قوانين تقف بصف المرأة الطفلة، المراهقة، الأخت، الزوجة، الأم، فالمجتمع الذي كسر كفة ميزانهِ الأخرى بإصرار وتظاهر بعدم أهمية هذه الكفة لن يتوازن، مع تشدقه بالعدل والرحمة والمساواة، والنظر بعين مترجم لمكانة المرأة لن يجدي نفعا، فأمام بروز فكرة مناصرة المرأة، ومجتمعات تقوم على اقتصاد معرفي لا يفرق بين جنس أو لون غايته هو الإنتاج، لن تصمد كثيرا فكرة الهيمنة على المرأة والسيطرة عليها جسدا وفكرا، سوف تزول مفاهيم مرتبطة بهذا الواقع وتحل محلها نظرة أكثر مرونة ومفاهيم أكثر تطورا وتحضرا، إن امرأة تستطيع الانعتاق من كل قيود المسلمات التي لحقت بها تحتاج إلى من يفهما كما هي، وهذا لن يتحقق إلا إذا أعيدت فكرة النظرة إلى المرأة كإنسان قبل أن تكون نوعاً..! والكائن الذي يقود التغيير في المجتمع هو المرأة، وما هو التغيير إلا التأثير في عقول من تربيهم ومن تعيش معهم وتقييدها ما هو إلا التخلف الذي

نعيشه الآن، تحتاج المرأة للتحليق نحو فضاء أرحب، ولن تحلق طالما هي تحتاج الإذن لتحلّق.

قُبلة الأسَف مطبوعَة على وردَةٍ بَيضاء..!!

مشهد أول :

كُنت على شُرفة البياض أسير نحو غدي بحرارة، كل العيون مغادرة اليّ، معجونة بفضة الفرح، وسوسنه نابتة بين أضلعي تبوح لي بسعادتها، فـ تبللت بالخجل وانعطفت مثل الوردة لأتوارى عن العيون، وقلبي تتسارع نبضاته بقوة ألف حصان أبيض وكأنه ينسج خيوطا من كرة صوف الأحلام، أفيض بياضا كالثلج، وأنا أرتدي فستاناً من فضة النجوم.

مشهد ثاني :

كنت أنتظره ليطلق عليّ رصاصة الحب ويمضي معي نحو الحياة، الأفق، الشمس.

كانت عيناه صافيتين مثل قطرات المطر وهو يرنو للأفق البعيد، شارحا لي أحلامه التي تخلو مني، وأنا أصطلي بنار انتظار التفاتة منه نحو غدي، وكأنه ابتعد عني مسافة ألف جرح زاه في قلبي، ظل يتكلم ويتكلم ويحلم، بعيدا عني، حتى صيّرْ أكْدَاس الحزن في نفسي، انتظرته ليُوقِد

أُنوثَتي المَفقودة على جزيرة الكنز، فقد قضيت عمري أنتظر قرصاناً يخطفني من طَرفِ الجَزيرة، لنعتلي مدارج سفينة متوّجه بزهرٍ أصفر، ولكنه انطلق بعيدا عني مع أحلامه الضاحكة حد القهقهة.

مشهد أخير مِثل أي نِهَاية لقِصة شَرقية :

بحثت فيه عن مساحة تحملني، و قلب يحتويني، كنت أحلم حتى تجاوزتُ الأحلام بمراحل، وانكسرت كثير من أحلامي كما الزجاج، حاولت أن أتجاوزها وأمضي للبعيد هناك حيث الأمل الذي يحتويني بكل ما أحمل من ضجيج، أصبحت أبحث عن وجه الفرح كل صباح، لأرتق جرحي بنفسي، ولأقتص لأحلامي من أيامي القادمة..!!

حتى بَلغت من القَهرِ عتيّا..!

بِلُغَة تتعالى على الحزن قدّت (حَياة) ثوب الصمت لتعلن أنها سوف تغادر مُدن الألم إلى جزيرة الحرية، فقد تقصت أخبار هذه الجزيرة مما دعاها إلى محاولة تغيير سلوكها وأفكارها ليتسنى لها العيش الهادئ بعد رحلة طويلة من الإقصاء النفسي والجسدي، مرددة بينها وبين نفسها عناوين أطلقي المارد كما يقول "انتوني روبنز" الخبير المتميز في علوم الأداء، وكذلك ستيفن كوفي وعاداته السبع مرورا بالثامنة كانت تقنع نفسها أن الخلل يكمن بداخلها، وأن ترتيل الألم الذي تسمعه دائما غالبا ما يأتي من داخلها، فتُجاهد صوت الألم الذي يُرعد داخلها، وتساؤلات كالشهب تخترق مجالها العقلي، فهي تحس بالذنب كلما فكرت لماذا هي هكذا ؟ !

أحيانا تُصيبها شرارة اليأس، وأحايين أخرى تدب في نفسها روح الحماس لتدافع عن نفسها كإنسان قبل أن تكون نوعاً، تعشق "حياة" أدب الحروب، وتاريخ الحضارات الإنسانية، وتحب أعمال الديكور وتنسيق الألوان ومع ذلك هي فاشلة في الدفاع عن أفكارها وتنسيق ألوان حياتها..!!

على لسان "حياة" يجري هذا الحوار داخل نتوءات روحها قائلة ": عشقت أدب الحروب لأنه أدب إنساني و يشبه قصتي، هو يحكي قصة صراع من أجل الأفضل، قصة متفردة ومليئة بالإثارة ولا تتقادم عبر الزمن، فتاريخ الحروب أزلي نشأ مع الإنسان بتواز، وتاريخ أنوثتي نشأ مع أول صراع بين قابيل وهابيل من أجل أنثى، منذ ذلك التاريخ أصبحت شيئاً قابلاً للتداول، ومحاصراً بين الحطام، فأنا مرة أُقطَف من غُصن، ومرة أخرى أُغتَرف من ماء، مطلوب مني دائما أن أكون كشجرة صبار أزهِر في الصحراء القاحلة بلا ماء ".

تستطرد "حياة" مدافعة عن نفسها " أنا لا أعيش مع فراعنة الموت، ولكني أرغب بإلقاء حِجارة من سجّيل الغضب على من يقيد إنسانيتي باسم حمايتي، لا أستطيع تمرير ممحاة الصبر على قلبي ورغباتي، فلم يلتقطني بعض السيارة من البئر لأصبح ملكة مصر، بل عاملوني مثل امرأة نوح وامرأة لوط..!!

لعلها ترغَبُ بـ جيش جرار من تأكيد الوجود، لتعيش مَلحمة النصر مع جنسها المعنون بالدرجة الثانية، فطوفان الأذى والتهميش يسيل مع كحل عينيها يشطرها نصفين نصف في بغداد ونصف في فلسطين لتعيش امرأة مشوهة الحسن.

معامل بيتا...!!

بتناغم هادئ التهبت حمم نفسي، لتشارك الطيور صداحها في صَباح الرِياَض المشحون بالسكينة والهدوء والحب، كم أتمنى أن يكون هناك معاملات تقيس مدى التذبذب العام في نفوسنا، مثل معامل بيتا "Beta Coefficient" الذي يقيس مدى التذبذب العام في "سوق الأسهم والسندات"، لو كان هناك مقاييس تقيس مدى تذبذب أنفسنا، ما بين صعود وهبوط، ألا يساعدنا هذا أن نفهم أنفسنا أكثر، ونتعرف على متى نصل إلى نقطة التعادل النفسية، المأزق الآن :كلما تصاعدت مشاعرنا المخلوطة بالملل والروتين والشعور بالعجز أحيانا، كلما تأثرت فرصة الحصول على حياة رطبة نديّة مفعمة بالجمال، تأثيرا سلبيا..!

نعيش الآن مجتمع ما بعد الحداثة Postmodern society الذي يلزم الأفراد في المجتمع أن يتحملوا مسؤولياتهم الأخلاقية، الأدبية، من أجل التصدي لأي مشاكل يواجهونها..؟ ما هي المهارات التي نمتلكها من أجل أن نتوافق مع تسارع كل ما يدور حولنا ؟ الكثير من الناس يتحدثون عن التغيير وكأنه تلك "البلورة السحرية" التي من يستحوذ عليها سوف يمتلك زمام التغيير، وتناسوا أو نسوا أن التغيير هو ثقافة

مجتمع، "حركة مسار" ومنظمات وأفراد، مجتمعة نحو رؤية واحدة، وهدف محدد، وبوقت ليس بالقصير...!!

حُب ريلكه...!!

أعتقد أنني عاشقة لا أرقى إلى مرتبة العشاق، لأنني لا أحسن التصرف في مواقف العشق كثيرا، وأهذي بكلمات تفسد عليّ التحام اللقاء، قرأت أن "شوبان" حمل معه حفنة من تراب وطنه لدفنها معه، الفكرة ذاتها حملتها معي وأنا أعيش ارتباطي بالحياة الذي لا أريد أن أضع له اسما واحصره في زوايا بشرية تحت عناوين لا نلتزم بها غالبا، يقول سيزار بافيزي "ليس لنا سوى أن نبدأ" نعم سوف أبدأ يا بافيزي، ولكن بداية مغايرة كعادتي التي تلج مملكة الكلمة الآبقة، تنبثق من أطراف أناملي مياه طوفان من شذا المشاعر، سوف أحب، أليس الحبّ عند ريلكه هو تخطي الذات المُحبّة للوصول إلى مرحلة متقدمة من مراحل الوجود المُحَبّ الذي لا يضطر إلى تزييف ذاته إرضاء للمحب، إذن هو الفيض الروحي، الذي يغمر الآخر دون أن يطلبه هذا الآخر. هذا هو حب ريلكه ورسالته التي يبثها إلى العالم هي أن الحب هو قوام الحياة ولا تستقيم الحياة إلا به، ولكن هل ريلكه أحب بطريقة البشر أم بطريقة الملائكة؟ لا أعلم ولكن كل الذي أعلمه هو أن الحب يكسر حواجز أقدار صمتنا النفسية، ويجعلنا نعشق صور حُسنه الخلاب على صفحة الماء مثل "ناريس".

حُبٌّ صَحِيْحُ الآخِرِ...!

عندما نحب ترحل بنا مشاعرنا عبر قفار الحياة ووهادها، برحلة أنيقة وكأننا نزور متحفاً مليئاً بالجمال، وفي كل لحظة تقع أعيننا على لوحة مدهشة، أو قطعة أثرية بديعة، بعض الحب ضروري من أجل إعادة توازن أنفسنا التي كاد أن يعلوها صدأ الروتين، وتشابه الأيام، فالمشاعر تتوالد وتسكن بين بحر التفكير في النفس وقارات التأمل الإنساني، تبدو الصور أقل ادلهاما من ذي قبل، أذهب إلى ضفة فكري نيابة عني، لأبحث ركض فعل الأيام في اتجاه خطي واحد من نهاية إلى بداية أخرى، لأسجل تصوراتي عما يحصل بين بداية ونهاية، سوف أوغل في فيافي الرصد، بما يشبه السيرة الذاتية لبشريتنا، أسردها، أصوغها، ثم أحتفل بها، جميلة هي عندما ندخل عوالم تُشكلنا، وتبلور وجدان كل فرد فينا نحو شيء سامي، وكأنه يفكك شفرة الملل فينا وعلى لسان شكسبير الذي يشبّه الحب وما يوحيه من جمال أبدي بأبي الهول وهو يرنو للخلود بعينيه الزائغتين، أقول نحن ذلك التمثال الواقف على أعتاب التاريخ مضمخاً بحب معتق من الزمن الآتي، أرواح أضناها الحب، وقلوب منهكة من السير في لُجّة الحياة مُتعلقة بغصن الأحلام والفرح، إلا تستحق أرواحنا حب صحيح الآخر...!

في الثُلثِ الأخير مِن الليَلْ..!!

روح:

هناك أناس مولودون بروح واثقة من النصر، قيل لي أنهم عاشوا في الغابات والمدن، قيل لي أنهم ولدوا عند نهر، وفور ولادتهم التقطوا عشبة مجهولة واكلوها فماتت قلوبهم فيموا وجوههم شطر الحياة، هؤلاء لا يحسون كما يحس الآخرون بل إنهم كمن يبحث عن سنبلة في بطن الصحراء لا شيء يثنيهم عن نيل مرادهم لا أحد. إلا أنهم يتمتعون بقتل القلوب الحية... هواية ما أبشعها. يعيشون بتراتبية لا تفكر بالآخر وفي النهار الذي يغيب متلهفا يكتبون على جبينهم أنهم أشقياء..!!

قلب:

قلبي مثل طفل بريء يحب اللعب، لا يجيد الكذب المرتب مسبقا، ولا يحتفظ برسائل العداء، قلبي من الأعمال التي لا تشرح وعندما يقف على حقيقة الأشياء في الحياة تنبعث الطمأنينة فيه.فهو لا يتقن لغة الزمن الحديث ولكنة يأمل بمسودة الجينيوم البشري لكولينز وفينتشر لمعرفة كهنه ولفك لغز الإرادة الحرة فيه، فجيناتنا هي نوافذ تطل على الماضي، فأنا أرغب أن أعرف ما هو رقم كروموزوم قلبي الطفل.

شوق:

لدي شوق وحشي لاكتشاف العالم وأرى الحياة تنظر إلى وكأنها عيون عديدة ناعسة أضناها السهر، شبيهة بالرضى، تفصح عن ضمير الكون كأسجوعة من حنان، وكابتسامة تجري كأنها نهر متدفق، لتتورد وجنة الأرض والورود، أتحدث للأرض بمودة عن إيقاع البحر الذي لا ينقطع، وسكوته الصاخب، عن ابتساماتي التي لا أحد يوقفها، عن شخص أحببته بحذر ولطف وسعادة، ورياح توشك أن تسكن، عن حروفي المهاجرة مني اليّ، عن غيمة تطل علي من شرفة السماء لها ثلاثة قلوب، وتساومني على إعطائي قلباً آخر، وكأنها تقول لي : إذا هبت رياحك فاغتنمها... فإن لكل عاصفة سكونا.

الفهرس

إهدَاء ---------- ٧

إلىَ جَوَهَرةٍ أفْرَطَتْ فِي صَقلُهاَ الحَيَاَةُ. ---------- ٩

تَبّت يَدُ الجَهل ---------- ١٢

يَنَامُ الظُلم عَلى شَكلِ حَيّة ---------- ١٥

ذِئبِي الأسنَان ---------- ١٧

حِكَايَةٌ لَم يُدَشِّنها أحَد ---------- ٢٠

فِي أرضِ اللوتَس المُقَدسَة ---------- ٢٢

كُنتُ قَاب حُبّين أو أدَنى..! ---------- ٢٣

عِطرُ فُل عَلى كَفّي..!! ---------- ٢٤

أجَمَلُ أورَاق العُمر..! ---------- ٢٥

هَل هوَ الذبول أم القُحُولْ ؟ ---------- ٢٦

لَيلٌ ساجْ..!! ---------- ٣١

هِيَ البُتُولا وَهُوَ الآسْ...!! ---------- ٣٣
لاَ...لاَ هُو جَنَاح مَلاكْ..!!---------- ٣٦
مُولَعَةٌ بالعُيون أنَا...!! ---------- ٤١
قِصَةُ خَلَلي..!!---------- ٤٣
حِكَايةُ بِنتُ إسمُهَا ثَرثَرة..!! ---------- ٤٥
مَسَلاّتُ عِشق..!!---------- ٥١
مُكتّظةُ لاحِتياجَك..!---------- ٥٢
حُبُ فِي ثلَاثِ سَاعَات..! ---------- ٥٣
أثِقُ حَتى الانِسياب..!!---------- ٥٤
حُزنُ مُحتَشِد بِغَير رَأفة..!! ---------- ٥٧
يَا شَاسِعاَ حَد الشَجَن..!! ---------- ٥٨
وَتينُ الَوفاء..!! ---------- ٦٠
ثَلاثُ زَهَرَاتُ تَفتّحت مِن شَجَرة اللَوز ---------- ٦١
افتِتانْ..!! ---------- ٦٣

يَنَابِيعُ الفَراشَات...!! ---------- ٦٦
طَوَاحِين بِلا دُونكِيشُوت..!! ---------- ٦٨
تَموز مَاذا بَعدْ...!! ---------- ٧٠
أتعَس مِن كَافكا..!! ---------- ٧٢
أنَا اللاشَيء...!! ---------- ٧٣
يُحكَى أنّ...!! ---------- ٧٤
وَجَعٌ آيل للفَناءْ..!! ---------- ٧٦
شَعَري وَيَاسَمينة الِكبرِيَاء...!! ---------- ٧٨
ثلاّجَة المَوتَى.....!! ---------- ٨٠
كَرَمَةُ عِنَبْ..! ---------- ٨٣
مِيَتالِيكا...!! ---------- ٨٥
مِثْلُ حِيرَة هَامِلت..!! ---------- ٨٧
رُوبِنسون كرُوز..!! ---------- ٨٨
وأغلقَت مَدِينتَي الفَاضِلةُ أبوَابَها...!! ---------- ٨٩

طِفلَةُ إندَه...!! ---------- ٩١
مِفرَداتُ قَليلة الفِهَمْ...!!---------- ٩٣
عَقلٌ مَختُومٌ بِالشَمِع الأحمر....!! ---------- ٩٥
قُبلة الأسَف مَطبوعَة على وردَةٍ بَيضاء..!! ---------- ٩٨
حتَى بَلغت مِن القَهرِ عَتيّا..!! ---------- ١٠٠
مُعَامِلُ بِيتا...!! ---------- ١٠٢
حُبُ ريلكه...!!---------- ١٠٤
حُبٌ صَحِيْحُ الآخِرِ...! ---------- ١٠٥
في الثُلثِ الأخير مِن الليَلْ..!! ---------- ١٠٦
الفهرس ---------- ١٠٩

بالرغم من الموجات العاصفة التي تجتاحنا إلا أننا غالباً ما نقفز عائدين إلى محورنا الساكن لنتوازن مع مكنونات الحياة توازناً قد يخلق لنا متاعب جمة، وقد يكون ضحاياها ثلة من البشر ممن هم ليس لهم نصيب مما اكتسبوا وكأنهم كصيّب من السماء تجلّوا. نزخرف حياتنا بابتسامات لُجينية قُدّت من فضة النجوم، ولكن هل التجمّل والزينة والأحجار الكريمة الغالية وحرائر دودة القز تمنع جهل الصبايا؟ ذات مساء صاخب بالنجوم المتلألئة وخارج دورة حياة الكرة الأرضية، تراءت لديها فكرة ريّانة القوام غجرية السلوك ولا تخجل من لبس فستان عار إلا من قطعة تشف عن تفاصيل الإنسان، فكرة مهلكة ولكنها جميلة من وجهة نظرها، وبين صفا تفكيرها ومروة حبها تتساءل: هل تشف الحياة عن ماء الفرح بداخلنا لنرتقي زلفى مع كل نجمة مستنيرين بكتب الفلاسفة والقديسين وحكماء التاريخ؟

مطابع الحميضي 2130130 الرياض
ردمك ٢ - ٤٤ - ٨٠٥٨ - ٦٠٣ - ٩٧٨